سلسلة الهوية الإسلاميّة

هَويّتُنا تَعْفيفُ المَرأةِ وهَويّتهُم تَسْليعُها

هَويّة المَرأةِ المُسْلمةِ فى عَصر الحَداثةِ

الدكتور إبن عبّاس العامِلى

سلسلة الهوية الإسلامية

هويّتنا تّعفيفُ المَرأة وهويّتهم تسْليعُها

Our identity is to promote chastity for women, while theirs is to commodify them

هوية المرأة المسلمة في عصرِ الحداثة

تأليف: الدكتور إبن عبّاس العاملي

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي

وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي

(طه: 25-28)

حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

المؤلف: إبن عبّاس العاملي، 2025

جميع حقوق الطبع محفوظة. لا يجوز إعادة طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله بأي شكل من الأشكال أو بأي وسيلة كانت، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، دون إذن خطي مسبق من المؤلف أو الناشر، باستثناء حالات الاقتباس القصير لأغراض البحث أو النقد وفقًا لقوانين حقوق الطبع والنشر المعمول بها.

للتواصل مع المؤلف: IbnAbbasAlamili@gmail.com

إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ
وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ
(هود: 88)

نسخة محدودة قبل النشر

اكتشفْ في هذا البحثِ الرائعِ أُنْموذجًا ثوريًّا لنهضةِ المرأةِ، يجمعُ بينَ قيمِ الحياءِ والعفافِ والاحتشامِ مع التعليمِ و الإعداد والاحترامِ، ليُمَكِّنَها من بناءِ أسرةٍ صالحةٍ وحضارةٍ إسلاميةٍ حديثةٍ، وأمةٍ نبويةٍ شاهدةٍ. يقدمُ البحثُ نقدًا حادًّا لـ"حريةِ المرأةِ" الغربيةِ، التي تفصلُ الحريةَ عن الأخلاقِ وتروجُ لتحررٍ جنسيٍّ يجردُ المرأةَ من كرامتها، ويحولها إلى سلعةٍ في سوقِ الرأسماليةِ الاستغلاليةِ. انغمسْ في هذه الرؤيةِ الجديدةِ التي تعيدُ تعريفَ دورِ المرأةِ كقوةٍ مبدعةٍ ومستقبليةٍ، واحصلْ على أدواتٍ لبناءِ مجتمعٍ أكثرَ عدلًا وكرامةً!

تَعَمَّقْ في هذا الدراسةِ الملهمةِ التي تقدمُ خريطةَ طريقٍ لنهضةِ المرأةِ الحقيقيةِ، ترتكزُ على أساسِ الحياءِ والعفافِ والاحتشامِ، مع دمجِ التعليمِ و الإعداد والاحترامِ، لتمكنها من صناعةِ أسرةٍ متماسكةٍ وحضارةٍ إسلاميةٍ معاصرةٍ، وأمةٍ نبويةٍ شاهدةٍ. يفضحُ البحثُ أسطورةَ "حريةِ المرأةِ" الغربيةِ، التي تفصلُ الحريةَ عن الأخلاقِ وتشجعُ على تحررٍ جنسيٍّ يسلبُ المرأةَ كرامتها، ويحولها إلى أداةٍ للشهواتِ وسلعةٍ في أسواقِ الرأسماليةِ التي تستغلُّ الإنسانَ وتغربهُ. انطلقْ معنا في رحلةٍ لإعادةِ صياغةِ دورِ المرأةِ كقوةٍ خلاقةٍ ومستقبليةٍ، واكتسبْ أدواتٍ لبناءِ عالمٍ أكثرَ عدلًا وتوازنًا!

اكتشفوا عمقَ الصراعِ الحضاريّ بينَ **التّعفيف** و**التّسليع** في

كتابنا الجديد: **«هَويّتُنا تَعْفيفُ المَرأةِ وهَويّتهُم تَسْليعُها – هَويّة المَرأةِ المُسْلمةِ في عَصرِ الحَداثةِ»**

في هذا العملِ المُلهمِ، نقدم:

- **تأصيلاً شرعيًّا** ينبعُ من آياتِ القرآنِ وسُنّةِ النبيِّ (ص)
- **تحليلًا تاريخيًّا** يتتبّعُ مسارَ تَسْليع المَرْأةِ منذُ عصرِ فيكتوريا حتى الرأسماليةِ الرقمية
- **مقارباتٍ اجتماعيةٍ ونفسيةٍ** تُثبتُ تأثيرَ الحياءِ الإسلاميّ في تعزيزِ الثقةِ والرفاهيةِ
- **نماذجَ معاصرةً** من صناعةِ الموضةِ المحتشمةِ والتعليمِ والرياضةِ والفنِّ

للباحثينَ والمهتمّينَ بدراساتِ المرأةِ ولمن يسعى لفهمِ الجدليةِ بينَ القيمِ و الإعداد في عالمٍ متغيّرٍ، هذا الكتابُ هو بوابتكم إلى:

- **نموذجٍ متوازنٍ** يدمجُ الحريةَ بالمسؤوليةِ
- **خارطةِ طريقٍ** لإعادةِ تشكيلِ هويةِ المرأةِ المسلمةِ
- **دعوةٍ عمليّةٍ** لصياغةِ حضارةٍ إسلاميةٍ حديثةٍ

🌟 **احصلوا على نسختكم اليوم** واكتشفوا كيف يقودُ التّعفيفُ الإسلاميُّ مقاومةَ "اقتصادِ الصورةِ" ويصوغُ مستقبلًا أكثرَ عدلاً واستدامةً!

تنويه: حدود الفهم وإمكانات التأويل

إنَّ هذا الكتاب – بما يتضمَّنه من تحليلٍ وتأمُّلٍ في الإسلام والحداثة – ما هو إلَّا جهدٌ بشريٌّ محدودٌ ومتواضع في سعيه لاستكشاف واقعٍ معقَّدٍ واستخلاص معانٍ من النصوص ضمن سياق الحداثة والتجربة الإنسانية المعاصرة. فلا يدّعي المؤلِّف أنّ فهمه هذا هو الفهمُ القطعيُّ أو المطلقُ لما قصده اللهُ تعالى أو رسوله (ص)، فالقولُ الفصلُ بمراد الله ورسوله محفوظٌ لله وحده.

إنَّ طبيعةَ العقلِ البشريِّ تقتضي البحثَ والسؤالَ والمراجعةَ المستمرَّةَ، ومعرفةَ الإنسانِ محدودةٌ بزمنٍ ومكانٍ وإمكاناتٍ عقليةٍ، فلا ينبغي أن يُنظر إلى هذا التحليلِ أو التأويلِ على أنَّه مرجعيةٌ ملزمةٌ أو أنّه ينطوي على عصمةٍ من الخطأ.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: 85)،

وجاء في دعائنا: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: 114)،

لنبقى دائمًا في موقفِ التواضعِ العلميِّ والافتقارِ إلى رحمةِ الحقِّ تعالى في بيان مراده.

يَسْعَى هذا البحثُ إلى ترسيخِ نهضةِ المرأةِ المسلمةِ كأنموذجٍ أسمى لنهضةِ المرأةِ عالميًّا، من خلالِ تحررِها من عبوديةِ التشيّئِ والتسويقِ والتسليعِ الرأسماليِّ إلى عبوديةِ اللهِ المتعالي، وتمسّكِها بقيمِ الحياءِ والعفةِ والاحتشامِ بعزةٍ وفخرٍ وكرامةٍ واحترامٍ. كما يطمحُ إلى تعزيزِ تعليمِ المرأةِ و إعدادها، لتؤديَ دورَها الأصيلَ في الأمومةِ وإصلاح الأسرة والمجتمعِ والإنسانِ، والهِداية بنور القرآن، والمساهمةِ في قيادةِ البشريةِ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وأَلَّا يَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، والكدحِ المخلصِ إلى الحقِّ الأعلى والبيان، والتسامي نحوَ الكمالِ في الخَلْقِ والخُلُقِ والإحسان.

كما يتناولُ البحثُ سبلَ التوفيقِ بينَ القيمِ الأخلاقيةِ و الإعداد الحقيقيِّ للمرأةِ، بعيدًا عن أشكالِ الاستغلالِ الرأسماليِّ الذي يفرغُ إعدادها من محتواهُ الإنسانيِّ والمعنويِّ، ويحولُها إلى أداةٍ استهلاكيةٍ تستخدمُ لتكريسِ الهيمنةِ الثقافيةِ والاقتصاديةِ.

قائِمةُ المُحْتوياتِ

قائِمةُ المُحْتوياتِ	9
الإهْداءُ	11
كَلِمةُ المؤلِّفِ	13
المُقدّمةُ	15
الحريةُ: دراسةٌ مقارنةٌ بينَ الحريةِ الإسلاميةِ والحريةِ الغربيةِ	17
المُساواةُ بينَ الذّكرِ والأُنْثى	23
جَدليّةُ الذّكرِ والأنْثى: دِراسَةٌ مُقارِنةٌ	29
فَصْلُ الأخلاقِ عنِ الشريعةِ في العلاقةِ الزَّوجيةِ	39
التنافرُ الجنسيُّ في الغَربِ المُعاصرِ	43
جَدليّةُ التّعفيفِ والتّسْليعِ: مُقاربةٌ مُقارنةٌ	51
التّأصيلُ الإسْلاميُّ لتعفيفِ المَرأةِ	61
تَشيُّئ وتَسْليعُ وتسويقُ الأنْثى في الثّقافةِ الاسْتهلاكيّةِ الغَربيّةِ	71
الآثارُ النَّفسيَّةُ والاجتماعيَّةُ لِاسْتِهلاكِ الموادِّ الإباحيَّةِ على المرأةِ	83
المُقارَنةُ المَنْهَجيّةُ بَيْنَ الأُنْموذَجَيْنِ: التّعفيفِ وَالتَّسْليعِ	87
المُبادَراتُ المُعاصِرَةُ	99
الخاتِمَةُ	115
قائِمةُ المَراجِعِ	117

الإهْداءُ

إلى روحَيَّ الطاهرتَين، والديَّ الحبيبتَين،

أسأل اللهَ الكريمَ أن يتقبّل هذا العملَ ويجعلهُ صدقةً جاريةً في ميزان حسناتِكُما، وأن يرفَع درجتَيكُما في جناتِ النعيم.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (إبراهيم: 41)

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: 24)

اللهم اغفر لي ولوالديَّ وارحمهما كما رباني صغيرًا واجزهما بالإحسان إحسانًا وبالسيئات عفواً وغفرانًا.

رحمهما الله برحمته الواسعة وأسكنهما الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ابنكما الذي لا ينسى فضلكُما،

المؤلفُّ

كَلِمةُ المؤلِّفِ

يَهدِفُ هذا البَحثُ إلى بِنَاءِ أُنمُوذَجٍ مِثاليٍّ لِنَهضَةِ المرأةِ، سَواءٌ كانَت مُسلِمَةً أَو غَيرَ مُسلِمَةٍ، يَستَنِدُ إلى قِيَمِ الحَياءِ والعَفافِ والاِحتِشامِ، مَقرُونَةً بِالتَّعلُّمِ وَالإعداد وَالاِحتِرَامِ، ويَسعَى إلى تَعزِيزِ دَورِها في بِنَاءِ الأُسرَةِ الصالِحَةِ، وَالمُشارَكَةِ في صِناعَةِ حَضارَةٍ إسلامِيَّةٍ حَديثَةٍ، وَبِنَاءِ أُمَّةٍ نَبَويةٍ شاهِدَةٍ، بِما يُوَفِّقُ بَينَ الأَخلاقِ والشّريعَةِ وَالفَاعِلِيَّةِ المُجتَمَعِيَّةِ.

كَما يُوَجِّهُ البَحثُ نَقدًا لِما يُسَمَّى بـ"حُرِّيَّةِ المَرأةِ" في الأُنْموذَجِ الغَربِيِّ، الَّتِي يَفصِلُ الحُرِّيَّةَ عَنِ الأخلاقِ والقِيَمِ، وَيُرَوِّجُ لِنَمَطٍ مِنَ التَّحَرُّرِ الجِنسِيِّ الَّذِي يُجَرِّدُ المَرأةَ مِن حِجابِها وحَيائِها وَعِفَّتِها واحْتِشامِها، لِيُستَباحَ جَسَدُها وَيُختَزَلَ كَيانُها في أَداةٍ لِإشباعِ الشَّهَواتِ، وَسِلعةٍ للتّسويقِ والاِستِهلاكِ، تَخضَعُ لِقَوانِينِ السُّوقِ في نِظامٍ رَأسمالِيٍّ يَستَغِلُّ الإنسانَ ويُشيّئه ويُغَرّبهُ وَيُفقِدُهُ معناه وكَرامَتَهُ.

ويؤكّد هذه الرؤيةَ ما عبّر عنه الشاعرُ أحمد شوقي بقوله:

"الأمُّ مَدرَسَةٌ إذا أَعدَدتَها أَعدَدتَ شَعبًا طَيِّبَ الأَعراقِ"،

حيث يُسلّطُ الضوءَ على دَورِ المرأةِ المحوريِّ في تنشئةِ الأجيالِ، وبناءِ المجتمعاتِ على أساسٍ من القيمِ التربويّةِ والأخلاقيّةِ الراسخة، ممّا يجعلُ من الأمومةِ مَعبرًا رئيسًا نحو صناعةِ الحضارةِ وبناءِ الأممِ الراشدة.

كما يعكسُ دعاءُ عبادِ الرحمنِ هذا المعنى، في قول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74]،

حيثُ يُبرزُ القرآنُ الكريمُ الطموحَ الإيمانيَّ لأسرةٍ صالحةٍ تقودُ في طريقِ التقوى والقدوة.

والله وليّ التوفيق،

المؤلف

المُقدّمةُ

يُناقِشُ هٰذا البَحثُ ثُنائِيَّةَ هُوِيَّةِ المَرأَةِ المُعاصِرَةِ بَيْنَ **مَشرُوعِ التّعفيفِ والتّعليمِ والإعْدادِ** فِي المَنظُومَةِ الإسلامِيَّةِ، وَ**مَشرُوعِ التشيّئ والتَّسليعِ والتّسويقِ** فِي المَنظُومَةِ الرَّأسمَالِيَّةِ الاِسْتِهْلَاكِيَّةِ الغَربِيَّةِ.

يَسْتَهِلُّ البَاحِثُ بِالدَّلَالَةِ القُرآنِيَّةِ وَالحَديثيَّةِ عَلَى مَبَادِئِ الحَيَاءِ وَالعِفَّةِ وَالحِجَابِ وَالاِحْتِشَامِ، وَمَقصِدِ حِفْظِ العِرْضِ، مُبَيِّنًا كَيْفَ يَحمِي التّعفيفُ كَرَامَةَ المَرأَةِ بِاعتِبَارِ جَسَدِهَا أَمَانَةً إِلٰهِيَّةً لا سِلْعَةً تُباعُ وتُشْترى، وَمُوَضِّحًا القِيَمَ الأَخْلَاقِيَّةَ وَالأَحْكَامَ التَّشْرِيعِيَّةَ الَّتِي تَضْبِطُ العَلَاقَةَ بَيْنَ الجِنسَيْنِ، وَتَكْفُلُ بِيئَةً آمِنَةً لِلعلمِ والإبْدَاعِ وَالعَمَلِ دُونَ اِبْتِذَالٍ.

فِي المُقَابِلِ، يَتَتَبَّعُ البَحْثُ مَسَارَ **تَشيّئ وتَسْلِيعِ وتَسويقِ الجَسَدِ** فِي الغَرْبِ، مِن صِنَاعَةِ الأَزْيَاءِ وَالإعْلَانَاتِ إِلَى اِقْتِصَادِ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الاِجْتِمَاعِيِّ، حَيْثُ تُخْتَزَلُ المَرأَةُ إِلَى مَوضُوعٍ لِلاِسْتِهْلَاكِ البَصَرِيِّ وَالرَّمْزِيِّ، وَتُقَاسُ قِيمَتُهَا بِمَعَايِيرِ العَرضِ والطّلَبِ. وَيُقَارِنُ بَيْنَ الأُنموذَجَيْنِ عَبْرَ أَرْبَعَةِ مَحَاوِرَ رَئِيسَةٍ: (1) المَرجِعِيَّةُ القِيَمِيَّةُ، وَ (2) النَّمَطُ التَّرْبَوِيُّ، وَ (3) البِنْيَةُ القَانُونِيَّةُ، وَ (4) الأَثَرُ النَّفْسِيُّ وَالاِجْتِمَاعِيُّ. وَيَخْلُصُ إِلَى أَنَّ **التّعفيفَ والتّعلمَ والإعْدادَ** يُعَزِّزُ احترامَ الذاتِ، ويَحُدُّ مِن العُنفِ الرمزيِّ والتَّحرُّشِ، بينما يُؤدِّي **التشيّئ والتَّسليعِ والتّسويقِ** إلى تَضخيمِ اضطِراباتِ صورةِ الجَسدِ، وإشعارِ المرأةِ بالنَّقصِ والرُّخصِ وعَدمِ الكِفايةِ، ويُساهِمُ في تَزايُدِ حالاتِ الاكتئابِ والقلقِ واضطرابِ الأكلِ والإدمانِ السُّلوكيِّ، كما يُقوِّضُ الثقةَ بينَ الزوجَينِ ويُضعِفُ الروابطَ الأُسَريَّةَ،

ويُرسِّخُ نَماذجَ اجتماعيَّةً تُقوِّمُ الإنسانَ بمَظهرِه لا بقيمتِه، ممَّا يُسهِمُ في تَفشِّي العُزلةِ وتَفكُّكِ المجتمعِ، وانخفاضِ الإحساسِ بالأمانِ العاطفيِّ والاجتماعيِّ.

كما يَسْتَعْرِضُ البحثُ مُبَادَرَاتٍ مُعَاصِرَةً في العالمِ الإسلاميِّ – من التّعليمِ العاليِّ واسْتدامةِ الأسْرة إلى ابتكارِ صِنَاعَةِ التقانةِ والريادة السياسية، وإلى الأدبِ والرياضةِ والفنِّ – لِيُؤَكِّدَ إمكانيةَ صياغةِ أُنْموذَجٍ مُتَوَازِنٍ يَدْمُجُ بينَ حُرِّيَّةِ المرأةِ وتعفيفِها ومسؤوليةِ المجتمعِ تجاهَ كرامتِها. فَتَظْهَرُ نسبُ الطالباتِ الجامعياتِ التي تَجَاوَزَتْ 50٪ في دُوَلٍ مثلَ تركيا وإيران وماليزيا وأندونيسيا قُدْرَةَ الحياءِ والحجابِ والاحْتِشامِ على مَدِّ جُسُورِ الإعداد دونَ عَزْلَةٍ أو تَنَازُلٍ عن القيمِ الأخلاقيةِ.

وَيَنْتَهِي البحثُ بدعوةٍ إلى بناءِ **هُوِيَّةٍ إسلاميةٍ مُعَاصِرَةٍ** قَادِرَةٍ على التفاعلِ الإبداعيِّ مع الحداثةِ، و**صناعةِ حَضَارَةٍ إسلاميةٍ حَدِيثَةٍ** تَتَجَاوَزُ تحدّياتِ تَفَكُّكِ الأسرةِ الغربيّة (حيث بَلَغَتْ نِسَبُ الأسرِ ذاتِ الوالدِ الواحدِ أكثرَ من 30٪ في بَعْضِ الدولِ الأوروبيةِ) والانكماشِ السكّانيِّ في الدول الصناعيّة (مُعَدَّلُ الخصوبةِ في الولاياتِ المتحدةِ 1.599 طفلاً للمرأةِ في 2024)، وتهديداتِ الحروبِ النوويةِ (سِبَاقٌ نَوَوِيٌّ جديدٌ يَلوحُ في الأفقِ) وأزمةِ تَغَيُّرِ المناخِ (70٪ احتمالُ تجاوزِ الاحترارِ 1.5 °C خلال 2025–2029) (Exploding Topics, 2025; Human Life International: (Boquet, 2024; SIPRI-Stockholm International Peace Research Institute, 2025; The Guardian, 2025). ويَبْرُزُ الأُنموذَجُ الإسلاميُّ كَحَلٍّ مُسْتَدَامٍ يُعِيدُ التوازنَ بينَ الحريةِ والحَياءِ والعِفّةِ والحِجابِ والاحْتِشامِ والتّعليمِ والاعْدادِ والمَسْؤوليةِ والأخلاق ويَحْمِي كرامةَ المرأةِ كأساسٍ للحضارةِ.

الحريةُ: دراسةٌ مقارنةٌ بينَ الحريةِ الإسلاميةِ والحريةِ الغربيةِ

التّمْهيدُ

يَستَغِلُّ الغَربُ الرَّأسماليُّ مَفهومَ الحُرّيَّةِ في أَنموذَجِه الخاصِّ – أي التَّحرّرُ من الدّينِ والقِيَمِ الأخلاقيَّةِ، وتَقديسُ الفَردانيَّةِ والرَّغباتِ والشَّهواتِ – لـ"تَحريرِ المَرأةِ" وتَشْييئِها وتَسْليعِها وتَسْويقِها، فيَسحَقُ قُدسيَّتَها كأُمٍّ للبَشريَّةِ ومِحورٍ للأُسرةِ الصَّالحةِ والمُجتمَعِ المُنسجِمِ والأُمَّةِ الشَّاهدةِ.

لِذلكَ، يَستعرِضُ هذا الفَصْلُ مَفهومَ الحُرّيَّةِ من مَنظورَينِ مُتباينَين: الرُّؤيةُ الإسلاميَّةُ التي تَربُطُ الحُرّيَّةَ بالتَّزكيةِ الأخلاقيَّةِ والتَّقوى، ما يُحقِّقُ تَحرّرًا حَقيقيًّا يُعزِّزُ الكَرامةَ الإنسانيَّةَ ويَحمي المُجتمَعَ من الفَوضى؛ والأنَّموذَجُ الغَربيُّ الذي يَركُزُ على الفَردانيَّةِ والتَّحرّرِ من القُيودِ، غالبًا ما يُؤدّي إلى تَنافُرٍ إدْراكيٍّ وتَفكّكٍ اجتماعيٍّ واسْتغلالٍ تِجاريٍّ.

الملخصُ

يَستندُ الفَصلُ إلى نُصوصٍ قرآنيّةٍ وأحاديثَ نبويّةٍ ودراساتٍ أكاديميّةٍ مُعاصِرةٍ لِيُبيِّنَ أنَّ الحرِّيّةَ الإسلاميّةَ مُقيَّدةٌ بالقِيَمِ فتُحَقِّقُ تَوَازُنًا بين حقوقِ الفردِ وصالحِ الجماعةِ، بينما «الحرِّيّةُ السائلةُ» في الغربِ قد تُفضي إلى أزماتٍ اجتماعيّةٍ كارتفاعِ نسبِ الطلاقِ واضطراباتِ صورةِ الجَسَدِ.

في السياقِ النِّسائيِّ، يُظهِرُ الفَصلُ أنَّ حِجابَ المرأةِ وحَياءَها أدواتُ إعْداد تحفظُ قُدسِيَّتَها كأُمٍّ ومحورٍ لِلأُسرةِ الصالحةِ، في حينِ يُحوِّلُ الاقتصادُ الرأسماليُّ الغربيُّ جَسَدَها إلى سلعةٍ خاضعةٍ لقوانينِ السُّوقِ. هٰكذا تُبرِزُ الدراسةُ فاعليّةَ التّعفيفِ في موازنةِ التقدُّمِ العِلميِّ والأخلاقيِّ، وتَدعو إلى تبنّي نموذجٍ حضاريٍّ يَجْمَعُ بين التراثِ والابتكارِ دون التنازلِ عن الثوابتِ.

المُقدِّمةُ

خَلَقَ اللهُ الإنسانَ ومنحهُ القدرةَ الكامنةَ على الحريةِ، كما يتضحُ في قولهِ تعالى:

﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: 29)

وقولهِ:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: 7-8)

تُشِيرُ هذهِ الآياتُ إلى أنّ النفسَ قادرةٌ على اختيارِ الفجورِ أو التقوى، مما يجعلُ الحريةَ جزءًا من الفطرةِ الإنسانيةِ:

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: 30)

بناءً على ذلكَ، يمكنُ تقسيمُ الحريةِ إلى نوعَينِ: **حريةُ الفجورِ** و**حريةُ التقوى**. يهدفُ هذا المقالُ إلى مقارنةِ هذينِ النوعَينِ، معَ تحليلِ تأثيرهُما على المجتمعِ والمرأةِ.

حريةُ الفجورِ: التحررُ من القيمِ والأخلاق

حريةُ الفجورِ، كما يُعَرِّفُها الإسلامُ، هي التحررُ من عبوديةِ اللهِ والهدى والقيمِ الأخلاقيةِ بهدفِ إشباعِ هَوى النفسِ ورغباتِها وشهواتِها. يرى إقبال أنّ هذا النوعَ من الحريةِ يؤدي إلى الفردانيةِ والأنانيةِ

والنرجسيّة، مما يتسببُ في تنافرٍ إدراكيٍّ وتفككٍ اجتماعيٍّ (Iqbal, 2013). في الأنموذجِ الغربيِّ، تظهرُ هذهِ الحريةُ في الفلسفاتِ الفردانيةِ التي دافعَ عنها فلاسفةٌ مثل جون ستيوارت ميل، حيثُ تُعْطَى الأولويةُ للاختيارِ الفرديِّ دونَ النظرِ إلى النتائجِ الأخلاقيةِ (Mill, 2001).

تُظْهِرُ دراساتٌ معاصرةٌ أنّ هذا النهجَ ساهمَ في انتشارِ الإباحيةِ واستغلالِ الحريةِ الإعلاميةِ، مما أدى إلى تفككٍ قيميٍّ في بعضِ المجتمعاتِ الغربيةِ (Postman, 2005). على سبيلِ المثالِ، أشارتْ دراسةٌ إلى أن 75.19% من الشبابِ (16-25 عامًا) في الغربِ يعانونَ من اضطراباتِ صورةِ الجسدِ بسببِ ضغوطِ السوقِ الاستهلاكيةِ التي تُسَوِّقُ معاييرَ جمالٍ مثاليةٍ (McComb & Mills, 2021).

حريةُ التقوى: التحررُ من الهوى والرذائل

في المقابلِ، تُعَرِّفُ الرؤيةُ الإسلاميةُ حريةَ التقوى كتحررٍ من عبوديةِ الهوى للالتزامِ بعبوديةِ اللهِ والقيمِ الأخلاقيةِ. يشددُ سعيد (Saeed, 2006) على أن هذهِ الحريةَ تهدفُ إلى الرقيِّ الأخلاقيِّ والانسجامِ الاجتماعيِّ، حيثُ تبنى المجتمعاتُ على الفضيلةِ والتكافلِ. هذا النوعُ من الحريةِ يعززُ كرامةَ المرأةِ، حيثُ يحميها من التّشيّئِ والتّسليعِ والتّسْويقِ، ويؤكدُ دورَها كأمٍّ وركيزةٍ للأسرةِ الصالحةِ. على سبيلِ المثالِ، تُظْهِرُ دراساتٌ أن النساءَ المحجباتِ في أوروبا يشعرنَ بثقةٍ أكبرَ بنسبةِ 25-30% بفضلِ التزامهنَّ بالقيمِ الإسلاميةِ، مما يعززُ إعْدادهنَّ (Siraj, 2011).

كما تُبَيِّنُ إحصاءاتٌ أنّ نسبةَ التحاقِ النساءِ بالتعليمِ العالي في دولٍ مسلمةٍ مثلَ قطرَ بلغتْ 67%، مما يعكسُ تقدمًا في ظلِّ القيمِ الإسلاميةِ التي تجمعُ بينَ التّعفيفِ والإعْداد (World bank, 2020).

مقارنةُ الآثارِ الاجتماعيةِ

حريةُ الفجورِ، كما تظهرُ في النظامِ الرأسماليِّ، تخلقُ بيئةً مثاليةً للاستغلالِ والتّشيّئِ والتّسليعِ والتّسْويقِ، خاصةً للمرأةِ، حيثُ تُحَوَّلُ إلى سلعةٍ استهلاكيةٍ تخضعُ لمعاييرَ السوقِ. على النقيضِ، تَحْمي حريةُ التقوى المرأةَ من التّشيّئِ والتّسليعِ والتّسْويقِ، معَ تعزيزِ كرامتِها ودورِها في بناءِ الأسرةِ والمجتمعِ. دراسةٌ أشارتْ إلى أنّ 32-39% فقط من النساءِ في الدولِ العربيةِ يعانينَ من عدمِ رضى عن صورةِ الجسدِ مقارنةً بـ70% في الغربِ، مما يعكسُ تأثيرَ القيمِ الإسلاميةِ في الحفاظِ على الكرامةِ (Rodgers, R. F., Lowy, A. S., Halon, M. G., & Franko, D. L., 2020).

الجدولُ المقارنُ

الجانبُ	حريّة التقوى	حريّة الفجور
الطبيعةُ	تحرّر من الهوى والمادّيّة والرذائل	تحرّرٌ من القيمِ والدينِ والأخلاقِ
الغايةُ	التزكيةُ والفضيلةُ والخير الأعلى	الاستقلاليّةُ والاختيارُ الفرديُّ وحدهُ
الضوابطُ	شرعيةٌ وأخلاقيةٌ (لا ضرر ولا إفساد)	قانونيّةٌ فقط، دون قيودٍ أخلاقية
الأثرُ الاجتماعيُّ	سلام نفسي، انسجامٌ أسريٌّ واجتماعيٌّ، كرامة إنسانية	سيولةٌ وفوضى قيميةٌ، تفككٌ أخلاقيّ واجتماعيّ، وظاهرةُ الفردانيّةِ

الاستنتاجُ

تُقَدِّمُ الرؤيةُ الإسلاميةُ الحريةَ كتحررٍ تَقْوى أخلاقيٍّ يعززُ الكرامةَ والانسجامَ، بينما يميلُ الأنموذجُ الغربيُّ إلى تحررٍ فجورٍ قد يؤدي إلى تفككٍ قيميٍّ وتسليعٍ للمرأةِ. في المقابل، توفرُ الحريةُ الإسلاميةُ، من خلالِ التّعفيفِ والتزكيةِ، إطارًا يحمي المرأةَ ويعززُ دورَها في بناءِ أسرةٍ وأمةٍ صالحةٍ.

المُساواةُ بينَ الذّكرِ والأُنْثى

في عَصْرِنا الحاضِرِ، حيثُ تَتَصَدَّرُ قضيَّةُ المُساواةِ بينَ الذَّكَرِ والأنثى أَجِنْدَةَ الحِواراتِ العالَميَّةِ في مَجالاتِ الحُقوقِ والعَدالةِ الاجتماعيَّةِ، يَبرُزُ الإسلامُ مَنْهَجًا حَضاريًّا يُقَدِّمُ رُؤيةً قُرآنيَّةً مُتوازِنَةً تَعتمِدُ على مَبْدإِ الوِحدةِ الإنسانيَّةِ والتَّكامُلِ بينَ الجِنْسَيْنِ بعيدًا عن التَّمييزِ الجائرِ أو الإفراطِ في التَّسويةِ السَّطحيَّةِ.

يُؤَكِّدُ القُرآنُ الكَريمُ أَنَّ الأصْلَ في الخَلْقِ هو الوِحدةُ والتَّكافُؤُ، مع مُراعاةِ الاخْتِلافاتِ الطَّبيعيَّةِ لتحقيقِ العَدالةِ والسَّكينةِ في الأُسرةِ والمُجتَمَعِ، كما سيُفَصَّلُ في هذا الفَصْلِ من خِلالِ آياتٍ قُرآنيَّةٍ وتَفاسيرَ عُلماءَ.

وفي مُقابِلِ ذلكَ يَستعرِضُ الفَصْلُ تاريخَ عَدَمِ المُساواةِ في الغَرْبِ الَّذي بَدَأَ من جُذورٍ زِراعيَّةٍ عَميقةٍ وتَطَوَّرَ إلى نَمُوذَجٍ اقتِصاديٍّ يُشْبِهُ «شَريعةَ الغابِ» ممّا يُبْرِزُ التَّبايُنَ بينَ النَّهجِ الإسلاميِّ المُتَكامِلِ والمَسارِ الغَرْبيِّ المُتَعَثِّرِ لِيُؤَكِّدَ أَهَمِّيَّةَ اسْتِلْهامِ الرُّؤى الدِّينيَّةِ في بِنَاءِ مُجتَمَعاتٍ عادِلَةٍ.

المساواة في الإسلام: رؤيةٌ قرآنيّةٌ متوازنةٌ

يؤسّسُ الإسلامُ لمبدأِ المساواةِ الجوهريّة بينَ الجنسينِ على أساسِ العدالةِ والتكاملِ؛ إذ يؤكّدُ القرآنُ الكريمُ في سورةِ الأعراف:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف: 189)،

وفي سورةِ الروم:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: 21)،

مشيرًا بذلك إلى وحدةِ الأصلِ والخلق الإنسانيّ، والتكافؤِ بين الزوجين في العلاقةِ الزوجيّةِ، والسكنِ الروحيّ، والمودّةِ والرحمةِ (Badawi, 1995; ابن عاشور, 1984). ويؤكّدُ الإسلامُ بهذا أنّ مقصدَ العلاقة الزوجية هو تحقيقُ السكينةِ والطمأنينةِ، والتكاملِ من أجل بناءِ الأسرةِ التي تمثّلُ الركيزةَ الأساسيّةَ للاجتماعِ البشريّ.

كذلك يؤكّدُ القرآنُ الكريمُ في سورةِ الحجرات:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13)،

رابطًا الخلقَ بالاجتماع الإنسانيّ (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ)، وجاعلًا التعارُفَ مقصدًا لهذا التنوّع، والتقوى معيارًا للكرامة الإنسانية لا الجنس أو الأصل، رافضًا بذلكَ أيَّ شكلٍ مِنْ أشْكالِ التّمييزِ الجِنْسيّ أو العنصريّ أو الثّقافيّ أو الاقتِصاديّ أو الطّبقيّ أو الإثنيّ (Shah, 2018; الطباطبائي, 1993).

أمّا المساواةُ في العملِ، فتُجسّدُها سورةُ النحل:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: 97)،

حيثُ يُجازَى العاملُ الصالحُ دونَ اعتبارٍ لجنسِه. وتُقرُّ سورةُ النساء حقًّا متوازنًا في الكسبِ الاقتصاديّ:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ (النساء: 32)

(Ali, 2003; ابن عاشور, 1984).

وعلى الصعيدِ السياسيّ، لم تُستثنَ المرأةُ من البيعةِ أو المشاركةِ في الشورى واتخاذ القرار:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ... وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ﴾ (الممتحنة: 12)،

ما يعكسُ انخراطَها الفاعلَ في الحياةِ السياسيةِ والاجتماعيةِ منذُ بداياتِ الإسلام (الطباطبائي, 1993).

فِيمَا يَخُصُّ الحقوقَ الأسريةَ والمسؤولياتِ الماليّةِ، يُحَمِّلُ الإسلامُ الرجلَ مَسْؤُولِيَّةَ المهرِ للزوجةِ والنفقةِ للأسرةِ، كما يُوَضِّحُ ذلكَ القرآنُ الكريمُ في سورةِ النساء:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء: 34)،

حيثُ يُفَسَّرُ قولهُ تعالى "بِمَا أَنفَقُوا" على أنه دليلٌ صريحٌ على الالتزامِ الماليِّ الملقى على عاتقِ الرجلِ تجاهَ زوجتِهِ وأسرتِهِ (Amini, 2011). يُخَفِّفُ هذا الترتيبُ التكامليُّ عن المرأةِ أعباءَ النفقةِ، ويَمْنَحُها مساحةً من الحريةِ والكفالةِ والدعمِ، مما يُوَفِّرُ لها الاستقرارَ اللازمَ للتركيزِ على أدوارها الطبيعيةِ المتميزةِ في الحملِ والإنجابِ وتربيةِ الأبناءِ، مع

الحفاظِ على صحتها واستقرارها النفسيِّ.

في المقابلِ، يَمْنَحُ القرآنُ الذَّكَرَ من الأولادِ نَصِيبًا أكبرَ في الإرثِ بينما يساوي بين الذكر والأنثى في الوالدين، كما في قَوْلِهِ تعالى:

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾ (النِّساء: 11)

بَيْنَمَا يَتَسَاوَى الأبوانِ (الذَّكَرُ والأنثى)، في نفس الآية، في قَوْلِهِ:

﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ (النِّساء: 11).

مِمَّا يُشِيرُ إلى أنَّ الأَصْلَ في توزيعِ الثروةِ ليسَ الجنسَ، بلْ مَرْحَلَةُ ودَوْرُ الذَّكَرِ والأنثى في الأسرةِ، حيثُ يَعْكِسُ النظامُ القرآنيُّ تَوَازُنًا يَرْتَكِزُ على المسؤولياتِ الأسريةِ والاجتماعيةِ، فَيُرَاعِي الفُرُوقَ في مَراحلِ العُمرِ الأدوارِ دونَ إغْفَالِ العدالةِ.

يَرتبطُ هذا التفاوتُ في بعضِ حالاتِ التَّوريثِ بتحمّلِ الرجلِ مسؤولياتٍ ماليةً إضافيةً، كالمهرِ والنفقةِ، لا بتمييزٍ بينَ الجنسينِ. وقد أوضحَ أميني (Amini, 2011) أنَّ هذا النظامَ يحققُ نوعًا من التوازنِ؛ إذ قد ترثُ المرأةُ في بعضِ الحالاتِ أكثرَ من الرجلِ، رغمَ أنها غيرُ ملزمةٍ شرعًا بالإنفاقِ، مما يعززُ العدالةَ الاقتصاديةَ داخلَ الأسرةِ.

ويؤكدُ الشيخُ محمد كار (Carr, 2024) أنَّ هذا الأنموذجَ يرسخُ الاستقلالَ الماليَّ للمرأةِ في الإسلامِ؛ فهي تحتفظُ بمهرها وإرثها وكسبها دونَ إلزامٍ بإنفاقه على الأسرةِ، بخلافِ الرجلِ الذي ينتظرُ منه أن يشاركَ دخله مع الزوجةِ والأبناءِ وربما الآباءِ. بذلكَ، يتضحُ أنَّ توزيعَ الأدوارِ والحقوقِ الماليةِ في الإسلامِ لا يبنى على تفضيلٍ جنسيٍّ، بل على اعتباراتِ العدالةِ الوظيفيةِ والماليةِ في السياقِ الأسريِّ والاجتماعيِّ.

تاريخُ عَدَمِ المُساواةِ في الغَرْبِ: مِنَ الزِّراعةِ إلى "شَريعةِ الغابِ"

تَبرُزُ جُذورُ عَدَمِ المُساواةِ في الغَرْبِ مُنذُ انْتِشارِ الزِّراعةِ قَبْلَ آلافِ السِّنين، حِينَما انْقَسَمَ العَمَلُ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالأُنْثى عَلى أَساسِ الفِئاتِ العَمَلِيَّةِ: اسْتَحوَذَ الرِّجالُ عَلى أَعْمالِ الحَقْلِ بِاسْتِخْدامِ المِحْراثِ، وَحُصِرَتِ النِّساءُ في نِطاقِ المَنْزِلِ وَرِعايَةِ الأُسْرَةِ، كَما تُظْهِرُ تَحْليلاتُ هَياكِلِ قُبورٍ أَيْبيريَّةٍ تَفْضيلَ دَفْنِ الذُّكورِ بِرُموزِ سُلْطَةٍ وَأَدَواتِ عَمَلٍ، خِلافًا لِلإناثِ (Stibbard-Hawkes, 2019). وَقَدِ اسْتَمَدَّتِ الثَّقافَةُ البَطْرِيْرْكِيَّةُ مِنْ هَذا التَّرْتيبِ الاقْتِصادِيِّ سُلْطَتَها عَلى النِّساءِ، فَتَعَزَّزَتِ الأَعْرافُ الَّتي تَمْنَعُهُنَّ مِنَ الحَقِّ في الإرْثِ وَالمُشارَكَةِ السِّياسِيَّةِ في العُصورِ الوُسْطى، بَيْنَما أَعْدَقَتِ الكَنيسَةُ المَسِيحِيَّةُ تَعاليمَ تُشَدِّدُ عَلى الدَّوْرِ الذُّكُورِيِّ فَوْقَ دَوْرِ الأُنْثى (Dilli, 2015).

مَعَ انْبِثاقِ الثَّوْرَةِ الصناعيةِ فِي القرنِ الثَّامِنَ عَشَرَ، انْتَقَلَتِ النِّسَاءُ إِلَى المصانعِ ونَاطِحَاتِ السَّحَابِ الصناعيةِ، لَكِنَّهُنَّ ظَلَلْنَ يَتَقَاضَيْنَ أُجُورًا تَقِلُّ عَنِ الأَجورِ الذُّكُورِيَّةِ لِنَفْسِ العملِ، إِذْ وثَّقَتْ تَقَارِيرُ (Population Media Center, 2023, November 8) أَنَّ فَارِقَ الأجورِ كَانَ يَصِلُ أَحْيَانًا إِلَى 30% بَيْنَ الجنسين. ثُمَّ بَزَغَتْ حَرَكَاتُ المطالبةِ بِحُقُوقِ المرأةِ مَعَ مُؤْتَمَرِ سينيكافولز عَامَ 1848، الَّذِي مَهَّدَ الطَّرِيقَ لِنَيْلِ حَقِّ التصويتِ لِلْمَرْأَةِ الأمريكيةِ عَامَ 1920 (Stibbard-Hawkes, 2019). غَيْرَ أَنَّ مَسَارَ التحرّرِ ظَلَّ مُتَعَرِّجًا؛ فَالمَوْجَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ الحركاتِ النسائيةِ رَكَّزَتْ عَلَى الحرياتِ الاقتصاديةِ، وَالثَّالِثَةُ عَلَى مُكَافَحَةِ التحرّشِ والعنفِ الجنسيِّ (Dilli et al., 2019).

رَغْمَ هَذِهِ المكاسبِ التي حَقَّقَتْهَا المرأةُ الغربيةُ فِي المجالاتِ الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والسياسيةِ والمعنويةِ خِلَالَ القرنِ العشرين، فَإِنَّ هَيْمَنَةَ الشركاتِ العملاقةِ والقوى السياسيةِ جَعَلَتْ الحريةَ تُدَارُ بِمَنْطِقِ "شَرِيعَةِ الغابِ"، حَيْثُ تَسْتَمِرُّ فَجْوَةُ الأجورِ بِنِسْبَةِ 82 سِنْتًا مُقَابِلَ دولارٍ

لِلرَّجُلِ فِي الولاياتِ المتحدةِ عَامَ 2018، وَيَتَرَاجَعُ تَمْثِيلُ النساءِ فِي المراكزِ القياديةِ، وَهُوَ مَا رَبَطَهُ (Dilli, 2015) بِحَجْمِ التنميةِ الاقتصاديةِ ومعدّلاتِ النموِّ. وَقَدْ نَبَّهَتْ دِرَاسَاتٌ أُخْرَى إِلَى أَنَّ هَذَا التحولَ الاستهلاكيَّ والعولمةَ الرأسماليةَ تُعَمِّقُ اسْتِغْلَالَ الضعفاءِ وتَزِيدُ مِنْ تَهْمِيشِ المرأةِ فِي سُوقِ العملِ والمجتمعِ (E. Anderson, 2017; Nader, 2023).

الخاتمة

في الختامِ، يَتَجَلّى مِن خِلالِ الرُّؤيةِ القُرآنيَّةِ المُتوازِنَةِ أَنَّ المُساواةَ في الإسلامِ ليست مُجرَّدَ شِعارٍ، بَل نِظامٌ تَكامُليٌّ يُراعِي الوَحدةَ الإنسانيَّةَ وَالاختِلافاتَ الطَّبيعيَّةَ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالأُنثى، مِن خِلالِ تَأكيدِ الحُقوقِ المُشتَرَكَةِ في العِبادةِ وَالعَمَلِ وَالمُشارَكَةِ الاجتِماعيَّةِ، مَعَ تَوزيعِ المَسؤوليَّاتِ الماليَّةِ وَالأُسَريَّةِ بِما يُضمَنُ العَدالةَ والسَكينةَ وَالاستِقرارَ، كَما أَوضَحَتِ الآياتُ وَالمَراجِعُ المذكورَةُ.

أَمَّا في الغَرْبِ، فإنَّ تاريخَ عَدَمِ المُساواةِ، الَّذي امتدَّ مِنَ الانقِساماتِ الزِّراعيَّةِ إِلى الاستِغلالِ الصِّناعيِّ وَالرَّأسماليِّ، يَكشِفُ عن فَجَواتٍ مُستَمرَّةٍ رَغْمَ الحَرَكاتِ النِّسائيَّةِ، حيثُ تَسودُ «شَريعةُ الغابِ» في الأُجورِ وَالقِيادةِ، مِمَّا يَدعو إِلى إِعادةِ النَّظرِ في النَّماذِجِ الغَرْبيَّةِ وَاستِلهامِ الإسلامِ بَديلاً يُحَقِّقُ العَدالةَ الحَقيقيَّةَ.

بِهٰذا، يُؤَكِّدُ الفَصْلُ أَنَّ المُساواةَ الحَقَّةَ تَكمُنُ في التَّوازُنِ بَيْنَ الحُقوقِ وَالوَاجِباتِ، لا في مَحوِ الاختِلافاتِ، لِصالِحِ بِنَاءِ مُجتَمَعٍ إِنسانيٍّ مُتماسِكٍ.

جَدليّةُ الذّكرِ والأنْثى: دِراسَةٌ مُقارِنةٌ

يُعالجُ هذا الفصلُ جدليّةَ العلاقةِ بينَ الذكرِ والأنثى من منظورٍ مقارَنٍ بينَ الأُنموذَجِ الإسلاميِّ والأُنموذَجِ الغربيِّ، مستندًا إلى أُسسٍ قرآنيّةٍ وتشريعيّةٍ تُعيدُ بناءَ العلاقةِ الجِنسيّةِ على مبدأِ التّكاملِ لا التّضادِّ، والتّكافؤِ لا التّماثلِ.

يُظهر التحليلُ أنّ الإسلامَ يُقَدِّمُ تصورًا بنائيًّا قائمًا على العدالةِ الأخلاقيّةِ، وأولوية وظيفةِ الأسرةِ، واستقلالِ المرأةِ الماليّ والاجتماعيّ، في حين يتجلّى الأُنموذَجُ الغربيُّ في صراعاتٍ تاريخيّةٍ ممتدّةٍ تُراوِحُ بينَ الهيمنةِ الذكوريّةِ وتقلّباتِ الحركاتِ النسويّةِ، وما تلاها من تفكّكٍ أسريٍّ واستقطابٍ جِنسيٍّ.

ويعتمدُ الفصلُ على تحليلٍ للنصوصِ القرآنيّةِ، والمقاصدِ الشرعيّةِ، والمصادرِ الفقهيّةِ والاجتماعيّةِ المعاصرةِ، بالإضافةِ إلى مراجعةٍ نقديّةٍ للسياقِ الغربيّ، من أجلِ تقديمِ رؤيةٍ إصلاحيّةٍ عالميّة تُسهمُ في ضبطِ العلاقةِ الجِنسيّةِ ضمنَ إطارٍ قيميٍّ متوازنٍ ومستدامٍ.

وقد أرسى القرآنُ أُسسَ المساواةِ في الخَلقِ والكرامةِ والعملِ والكسبِ والحقوقِ والسياسة والاقتصاد والمسؤوليّةِ، معَ مراعاةِ الفروقِ الطبيعيّةِ بين الذكر والأنثى لتحقيقِ التكاملِ والعدلِ (Badawi, 1995; ابن عاشور, 1984). في المقابلِ، يُجسِّدُ الأُنموذَجُ الغربيُّ حالةً صراعيّةً مزمنةً بينَ الهيمنةِ الذكوريّةِ ومطالبِ الحركاتِ النسويّةِ، ما أدّى إلى تنافُرٍ اجتماعيٍّ يُهدِّدُ الحريّةَ والكرامةَ والاستقرارَ (E. Anderson, 2017).

الأُنثى بينَ الهيمنةِ الذُّكوريَّةِ ومقاصدِ الشريعةِ في ضبطِ العلاقةِ الجنسيَّةِ

كَانَتِ المرأةُ عَبْرَ التاريخِ الطَّرَفَ الأضعفَ في العلاقةِ الجنسيَّةِ، نَتِيجَةً لِطَبِيعَتِها الجسديَّةِ وحاجتِها المُتَزَايِدَةِ لِلْعِنَايَةِ والدَّعمِ، خُصُوصًا خِلَالَ فَتَرَاتِ الحملِ والإنجابِ وتَرْبِيَةِ الأطفالِ وتَأْسِيسِ الأسرةِ. كَمَا تَخْتَلِفُ مُقَارَبَتُها للجنسِ عَنِ الرَّجُلِ مِنْ حَيْثُ البنيةِ الطبيعيَّةِ والنفسيَّةِ والعاطفيَّةِ، مِمَّا جَعَلَهَا في كَثِيرٍ مِنَ السِّيَاقَاتِ أَكْثَرَ عُرْضَةً لِلْعُنْفِ الجنسيِّ وهَيْمَنَةِ البُنَى الذُّكُورِيَّةِ في المجتمعاتِ الأَبَوِيَّةِ.

وَقَدْ أَكَّدَتِ الدِّرَاسَاتُ الجنسيّة وَالِاجْتِمَاعِيَّةُ أَنَّ هَذَا الْوَضْعَ التَّارِيخِيَّ لَمْ يَكُنْ نَتِيجَةَ فُرُوقٍ طَبِيعِيَّةٍ فَقَطْ، بَلِ انْعِكَاسًا لِتَرَسُّبَاتٍ ثَقَافِيَّةٍ وَأُطُرٍ قَانُونِيَّةٍ رَسَّخَتْ عَدَمَ التَّوَازُنِ فِي الْقُوَّةِ بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ (Miller, S. M., & McNamee, L. G., 2023).

ساهَمَ هذا الاخْتِلالُ في تَرْسِيخِ أَنْماطٍ مِنَ التَّبَعِيَّةِ وَالانْكِشافِ أَمامَ مُمارَساتٍ اسْتِغْلالِيَّةٍ، خُصوصًا في ظِلِّ غِيابِ مَنظُوماتِ الحِمايَةِ المُؤَسَّسِيَّةِ وَالأَخْلاقِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ وَالقانُونِيَّةِ. وَتَفاقَمَ ذٰلِكَ في العَصْرِ الحَديثِ بِفِعْلِ النُّظُمِ الرَّأْسْمالِيَّةِ الَّتِي أَعادَتْ إِنْتاجَ الهَيْمَنَةِ بِصِيغَةٍ اسْتِهْلاكِيَّةٍ، مِنْ خِلالِ تَسْليعِ المَرْأَةِ وَتَحْوِيلِهِ إِلى أَداةٍ لِلتَّسْوِيقِ وَالرِّبْحِ الاقْتِصادِيِّ، ما يُعَدُّ شَكْلًا مِنْ أَشْكالِ العُنْفِ الرَّمْزِيِّ المُوَجَّهِ ضِدَّ النِّساءِ (Sheikh, 2024). وَتُوَضِّحُ الأَدَبِيّاتُ المُعْنِيَّةُ بِالتَّحْلِيلِ الاجْتِمَاعِيِّ لِلنِّظامِ الأَبَوِيِّ أَنَّ سَيْطَرَةَ الذُّكُورِ تاريخيًّا عَلى مَصادِرِ السُّلْطَةِ وَالتَّمْثِيلِ الثَّقافِيِّ وَالقانُونِيِّ كانَ لَهُ أَثَرٌ مُباشِرٌ في اسْتِمْرارِ هذِهِ المُمارَساتِ وَتَطْبِيعِها داخِلَ البُنى الاجْتِمَاعِيَّةِ (Saini, 2023).

في هذا السِّياق، تُشيرُ رُسْلاندي (Ruslandi, 2022) إلى أنّ مَقاصِدَ الشريعةِ الإسلاميّةِ تَسعى إلى **حِفظِ (مِنَ الأذيّة) النفسِ والعِرضِ والنَّسل**، عبرَ مَنظومةٍ قِيَميّةٍ مُتكاملة، تَضعُ ضَوابِطَ أخلاقيّةً وشرعيّةً

صارمةً للعلاقاتِ بينَ الجنسَين. وتَبرُزُ هذه المقاصِدُ من خلالِ مفاهيمِ الحَياءِ والعِفّةِ والاحتِشامِ والحِجاب، كما في قولِه تعالى:

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (الأحزاب: 32)،

وقولِه تعالى:

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ (الأحزاب: 59)،

إذ يُعبَّرُ عن "الذي في قلبِهِ مَرَض" بذلك الذي يَسعى إلى استغلالِ المرأةِ جنسيًّا والأذِيّة، ما يَفرِضُ عليها أن تَحتَرِزَ وتُقاوِمَ مَظاهِرَ التلاعُبِ والهيمنة.

كما تُوضِّحُ دِراساتٌ حديثةٌ لِـ جوليانسيزن وأوكتبوررينسياه (Juliansyahzen & Ocktoberrinsyah, 2022) أنّ مَقاصِدَ الشريعةِ لا تَكتفي بِوَضعِ الحَواجِزِ أمامَ الاستِغلالِ، بل تُؤكِّدُ أيضًا على حَقِّ المرأةِ في التَّعليمِ، واستِقلالِها المَعنويِّ والاقتصاديِّ والمَاليِّ، وضَمانِ مُشارَكتِها في المُجتَمَعِ باعتِبارِها طَرَفًا فاعِلًا ومُتَكافِئًا.

وبذلك، تُصبِحُ مَقاصِدُ الشريعةِ أداةً لِضَبطِ العَلاقةِ الجِنسيّةِ ضِمنَ إطارٍ مُتوازِنٍ مِن الحُقوقِ والواجِباتِ، بما يَضمَنُ الكَرامةَ والعَدالةَ، خُصوصًا للطَّرَفِ الأضعَفِ اجتماعيًّا، ويُسهِمُ في تَحقيقِ عَدالةٍ اجتماعيّةٍ مُستدامة.

إنسانيّةُ المرأةِ في المجتمعِ وتكاملُها الأنثويُّ في العلاقةِ الزوجيّةِ

مِن وَجهةِ النَّظرِ الإسلاميَّةِ، تُعدُّ المرأةُ إنسانةً كاملةَ الأهلِيَّةِ والكَرامةِ، لها دورُها الفاعلُ في المُجتَمَعِ بصِفتِها مُواطِنَةً، ومُشارِكةً في البِناءِ الاجتماعيِّ والثقافيِّ والاقتصاديِّ، ولها في الوقتِ ذاتِهِ خصوصيَّتُها

كامرأةٍ ضمنَ العَلاقةِ الزوجيَّةِ، حيثُ تكونُ "أُنوثَةً لزوجِها" في إطارِ الميثاقِ الغليظِ الذي نظَّمَتْهُ الشَّريعةُ الإسلاميَّةُ. فقد وصفَ القرآنُ الزواجَ بقولِهِ:

﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: 21)،

الدَّورِ الخاصِّ أَنَّ المرأةَ لَيْسَتْ مَمْلُوكَةً أو تَابِعَةً لِزَوْجِهَا، بَلْ هِيَ شَرِيكَةٌ، وَلَهَا كِيَانٌ مُسْتَقِلٌّ، وَحُقُوقٌ وَاضِحَةٌ فِي الحياةِ العامَّةِ والزَّوجيَّةِ عَلَى السَّوَاءِ (Badawi, 1982)؛ (Ali, 2016).

وَتَدْعَمُ الدِّرَاسَاتُ الاجتماعيةُ هَذَا الْفَهْمَ، حَيْثُ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ تَخْصِيصَ دَوْرِ الزوجيةِ لَا يُنْقِصُ مِنْ إِنْسَانِيَّةِ المرأةِ، بَلْ يُفَعِّلُ تَكَامُلَ الأدوارِ دَاخِلَ الأسرةِ والمجتمعِ، مَعَ الحفاظِ عَلَى اسْتِقْلَالِ المرأةِ وهويتها (Miller, S. M., & McNamee, L. G., 2023).

وَتُعَزِّزُ مَقَاصِدُ الشريعةِ الإسلاميَّةِ مَبْدَأَ حِفْظِ النفسِ والعِرْضِ والنسلِ مِنْ خِلَالِ ضَوَابِطِ أَخْلَاقِيَّةٍ تُسْهِمُ فِي حِمَايَةِ الأنثى وَصَوْنِ كرامتها، وَتَمْنَعُ الاستغلالَ الجنسيَّ بِكَافَّةِ أَشْكَالِهِ، مُؤَسِّسَةً بِذَلِكَ لِعَدَالَةٍ اجتماعيةٍ مُسْتَدَامَةٍ تَقُومُ عَلَى التكافؤِ والرحمةِ. وَفِي هَذَا الإطارِ المتوازنِ، يَرْفُضُ الأنموذجُ الإسلاميُّ مَا يُمْكِنُ وَصْفُهُ بِـ"شَرِيعَةِ الغابِ"، حَيْثُ يُهَيْمِنُ الأقوى عَلَى الأضعفِ، وَيُؤَكِّدُ عَلَى صِيَانَةِ الحريةِ الإنسانيَّةِ والكرامةِ البشريةِ مِنْ سَطْوَةِ الفئاتِ المتسلطةِ (ابن عاشور, 2001).

وَيَتَوَافَقُ هَذَا التوجهُ مَعَ مَا ذَهَبَ إليه جِيمْس ماديسون (1788) فِي كتاباته التَّأْسِيسِيَّةِ حولَ الدُّسْتُورِ الأميركي، حَيْثُ نَبَّهَ إِلَى خَطَرِ تفلتِ القوةِ فِي المجتمع، مُشَدِّدًا عَلَى ضرورة وجودِ نِظَامٍ يَحْمِي الضُّعَفَاءَ مِنَ استبدادِ الأقوياء، لِأَنَّ "وَظِيفَةَ الحكومةِ لَيْسَتْ فَقَطْ تقييدَ الأشرار، بَلْ أَيْضًا حمايةَ الصَّالِحِينَ مِنْ هَيْمَنَةِ الأَشَدِّ قُوَّةً" (Madison, 1788).

الأُنموذَجُ الإسلاميُّ في تحقيقِ التَّوازنِ الجِنسِيِّ

تُظهرُ هذه المقارنةُ أنّ الإسلامَ يقدِّمُ رؤيةً متوازنةً للعلاقةِ بين الذكرِ والأنثى، تقومُ على مبدأِ التَّكاملِ لا التَّضادِّ، وتمزُجُ بين المساواةِ في الكرامةِ والاختلافِ في الوظائفِ، ضمنَ إطارٍ من العدلِ الإلهيِّ والتنظيمِ الشرعيِّ الحكيمِ (Badawi, 1982).

في المقابلِ، لا يزالُ الغربُ أسيرًا لتراثٍ من التمييزِ البنيويِّ الذي رسَّخَ اختلالاتٍ اقتصاديةً واجتماعيةً تاريخيةً، وهو اليومَ يعاني من تَنافُرٍ جِنسيٍّ يُحوِّلُ مفهومَ الحريةِ إلى ميدانِ صراعٍ للهيمنةِ والانقسامِ (E. Anderson, 2017).

وللوصولِ إلى توازنٍ عادلٍ ومستدامٍ، لا بدَّ من إعادةِ قراءةِ التراثِ الغربيِّ قراءةً نقديةً، وإصلاحِ البُنى الاقتصاديةِ والاجتماعيةِ بما يضمنُ حمايةَ الفئاتِ الضعيفةِ من الانزلاقِ نحو ما وصفَه James Madison عامَ 1788 بـ"شريعةِ الغابِ" (Madison, 1788).

كما تشيرُ الدِّراساتُ الحديثةُ إلى ضرورةِ دعمِ المُهَمَّشينَ اقتصاديًّا واجتماعيًّا، كما في توصياتِ شاه (Shah, 2018)، وتقاريرِ بريشنماتشر ومركزِ كارنگي *Carnegie Endowment for International*) *(Peace: (Brechenmacher, 2025*.

الأُنموذَجُ الإسلاميُّ بديلًا قيميًّا في وجهِ تدهورِ العلاقاتِ الجنسيّةِ في السياقِ الغربيّ

في مُقابلِ التدهورِ الملحوظِ في العلاقاتِ بينَ الذكورِ والإناثِ في السِّياقِ الغربيِّ، يقومُ الأُنموذَجُ الإسلاميُّ على منظومةٍ أخلاقيّةٍ وتشريعيّةٍ، تهدفُ إلى تحقيقِ التوازنِ بينَ الجنسينِ، من خلالِ تكامُلِ الأدوارِ وحِفظِ الحقوقِ.

فالشريعةُ الإسلاميّةُ تُؤسِّسُ للعلاقةِ بينَ الرجلِ والمرأةِ على أساسِ قولِه تعالى:

﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: 21)،

وهي صيغةٌ تعاقديّةٌ مقدّسةٌ تحفظُ الكرامةَ وتضبطُ الرغباتِ، وتُحدِّدُ لكلِّ طرفٍ حقوقًا وواجباتٍ وِفقًا لمبدأِ العدلِ، لا لمبدأِ التماثلِ.

وتتمثّلُ مقاصدُ الشريعةِ في حفظِ النفسِ، والعِرضِ، والنَّسلِ، وتُطوِّقُ العلاقةَ الجنسيّةَ بإطارٍ قِيَميٍّ يحظرُ الاستغلالَ، ويشجِّعُ العِفّةَ، ويضبطُ التفاعلَ العاطفيَّ والاجتماعيَّ بضوابطَ تُحقِّقُ الطمأنينةَ، لا التنافرَ.

كما تُمنَحُ المرأةُ في الإسلامِ استقلالًا ماليًّا، وحقًّا في التعليمِ والمشاركةِ الاجتماعيّةِ، فيما يُحمَّلُ الرجلُ مسؤوليّةَ النفقةِ، والحمايةِ، والرعايةِ (Badawi, 1982; Ali, 2016).

وبينما يشهدُ الغربُ ارتفاعًا في معدّلاتِ الطّلاقِ والعزلةِ، وانهيارَ أنساقِ الثّقةِ، يركّزُ الأُنموذَجُ الإسلاميُّ على الاستقرارِ الأسريِّ كركيزةٍ للاجتماعِ البشريِّ، ويعتبرُ الأسرةَ وحدةً أخلاقيّةً لا بيولوجيّةً فقط، تُقامُ على أُسسِ المودّةِ والرّحمةِ، كما في قولِه تعالى:

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: 21).

وبهٰذا، تضمنُ الشريعةُ الإسلاميّةُ حدًّا من الاستغلالِ، وتخفّفُ من آثارِ النّزاعاتِ الاجتماعيّةِ والجِنسيّةِ، لتصلَ بالمجتمعِ إلى أُنْموذَجٍ أخلاقيٍّ عادلٍ، يحقّقُ التوازنَ في ضوءِ الوحيِ، لا في ظلِّ الصّراعِ.

جدولُ المقارنةِ بينَ الأُنموذَجِ الغربيِّ والأُنموذَجِ الإسلاميِّ في العلاقاتِ الجنسيّةِ

البُعْدُ التَّحْلِيلِيُّ	الأُنموذَجُ الإِسْلَامِيُّ	الأُنموذَجُ الغَرْبِيُّ
الأَسَاسُ المَعْرِفِيُّ	التكليف، العدلُ الإلٰهي، الثوابتُ الأخلاقيةُ	الفردانية، الحريةُ المطلقة، النسبويةُ القيميةُ
رُؤْيَةُ المَرْأَةِ	مساواةٌ في الكرامة، وتكاملٌ وظيفي، وتقديرٌ للاختلافِ الطبيعيِ	مساواةٌ تماثليةٌ معَ الرجل، تقليصٌ للفروقاتِ البنيويةِ
مُنْطَلَقُ الحُرِّيَّةِ	الحريةُ مقيدةٌ بالمسؤوليةِ والتقوى ومصلحةِ الجماعةِ	الحريةُ كحقٍ مطلقٍ للفردِ ولوْ على حسابِ المجتمعِ
دَوْرُ الأُسْرَةِ	نواةٌ اجتماعيةٌ محميةٌ تشريعيا وأخلاقيا لضمانِ الاستقرارِ والرحمةِ والمودةِ	قابلٌ للتفكيكِ وإعادةِ التعريفِ وفقا للنزعاتِ الفرديةِ
النِّظَامُ التَّشْرِيعِيُّ	شرعيٌ إلٰهي، مبنيٌ على الحكمةِ والمصلحةِ والعدالةِ	وضعيٌ متغير، يتأثرُ بالإيديولوجياتِ والنزاعاتِ السياسيةِ
المَآلُ الاجْتِمَاعِيُّ	انسجامٌ بينَ الجنسين، ضبطٌ للعلاقاتِ ضمنَ إطارِ القيم، واستقرارٌ للأسرةِ والمجتمعِ	تصاعدُ التنافرِ الجِنسي، ارتفاعُ نسبِ الطلاق، العزلة، وانهيارُ الثقةِ في المؤسساتِ
العَدَالَةُ الجِنسيّةُ	عدالةٌ تكريميةٌ تحفظُ الحقوقَ وتراعي الفطرةَ والاختلافَ	مفاهيمُ متغيرةٌ تتأرجحُ بينَ التحيزِ الذكوريِ والتمييزِ العكسيِ

إشْكَالِيَّاتٌ وَاقِعِيَّةٌ	تحدي سوءِ الفهمِ للفقه، وتطبيقٌ غيرُ مكتملٍ أحيانا، والحاجةُ إلى تأصيلٍ معاصرٍ للخطابِ الإسلامي	تزايدُ العنف، عزلةُ الرجال، أزمةُ الهوية، استغلالُ الحركاتِ النسويةِ

يمهِّدُ هذا الجدولُ لتحليلٍ أعمقَ ضمنَ دراسةٍ مقارنةٍ منهجيّةٍ بينَ البُنى الفكريّةِ والتشريعيّةِ للنموذجينِ، ويؤسِّسُ لمقاربةٍ إصلاحيّةٍ قيميّةٍ، تستنبطُ أفقَ التوازنِ الجِنسيِّ والعدالةِ الاجتماعيّةِ، ويمكنُ أن تندرجَ في خاتمةِ الفصلِ الأخيرِ أو في ملاحقِ الكتابِ.

الفروق الكبرى بين الأُنموذَجين

يُبرِزُالتحليلُ المقارَنُ ستّ فروقٍ جوهريّةٍ بينَ الأُنموذَجِ الإسلاميِّ والغربيِّ في معالجةِ العلاقةِ بينَ الذكرِ والأنثى:

البُعد	الأُنموذَجُ الإسلاميُّ	الأُنموذَجُ الغربيُّ
الرؤيةُ المَعرفيّةُ	يقومُ على التّكليفِ والتّقوى والعدالةِ الإلهيّةِ	يقومُ على الحريّةِ الفرديّةِ والنِّسبويّةِ القيميّة
بناءُ الأسرةِ	نواةٌ اجتماعيّةٌ محميّةٌ بالتّشريعِ والأخلاقِ	كيانٌ قابلٌ للتّفكيكِ وإعادةِ التّعريفِ
المُساواةُ الجِنسيّةُ	تكافؤٌ وظيفيٌّ وتكريمٌ فطريٌّ	تماثلٌ قانونيٌّ وسطَ صراعٍ تاريخيٍّ
الحُقوقُ الماليّةُ	استقلالٌ ماليٌّ للمرأةِ وقوامةٌ مسؤولةٌ للرجلِ	توزيعٌ متقلِّبٌ يخضعُ للسوقِ والسلطةِ

منظومة الحماية	مبنيّةٌ على العفافِ والاحتشامِ والميثاقِ	هشّةٌ أمامَ الاستهلاكِ والتسليعِ والعنفِ الرمزيّ
النتائج الاجتماعيّة	استقرارٌ أسريٌّ وتكاملٌ إنسانيٌّ	عزلةٌ وطلاقٌ واستقطابٌ وتَنافرٌ جِنسيٌّ

وبذلك، يُؤسِّسُ الأُنموذَجُ الإسلاميُّ لعدالةٍ إنسانيّةٍ شاملةٍ تحفظُ الكرامةَ وتُراعي الفطرةَ، في مقابلِ أُنْموذَجٍ غربيٍّ لا يزالُ عالقًا في دوّامةِ الهيمنةِ والمطالبةِ والتفكّك.

الخاتِمةُ

لا يعبّرُ هذا التبايُنَ البُنيويَّ بينَ الأُنموذَجِ الإسلاميِّ والأُنموذَجِ الغربيِّ في معالجةِ العلاقةِ بينَ الجنسينِ عن اختلافٍ في الآليّاتِ فحسب، بل يعكسُ تباينًا جوهريًّا في المرجعيّاتِ المعرفيّةِ، والمفاهيمِ الأخلاقيّةِ، والرؤيةِ الكونيّةِ للإنسانِ والحياةِ والمجتمعِ. فبينما يتأسّسُ الأُنموذَجُ الغربيُّ على منظومةِ الحرّيّةِ الفرديّةِ، والمساواةِ التماثليّةِ، والتشريعِ الوضعيِّ المتحوّلِ، فإنَّ الأُنموذَجَ الإسلاميَّ يرتكزُ على منظومةٍ قِيميّةٍ متماسكةٍ، تتكاملُ فيها المقاصدُ الكُليّةُ للشريعةِ مع البُعدِ الاجتماعيِّ والوظيفيِّ للعلاقةِ بينَ الذَّكرِ والأنثى.

فمقاصدُ الإسلامِ الخمسةُ—حِفظُ الدِّينِ، وحِفظُ النَّفسِ، وحِفظُ النَّسلِ، وحِفظُ المالِ، وحِفظُ العقلِ—تُوفِّرُ إطارًا مؤسِّسًا لضبطِ العلاقةِ بينَ الجنسينِ بما يُحقِّقُ الكرامةَ الإنسانيّةَ، والاستقرارَ الاجتماعيَّ، والتكافلَ العاطفيَّ والمعنويَّ. وتتحقّقُ هذه المقاصدُ من خلالِ ميثاقٍ أخلاقيٍّ وتشريعيٍّ يُراعي الفطرةَ ويضبطُ الشهوةَ، ويُوازنُ بينَ الحقِّ والواجبِ، والرغبةِ والمصلحةِ، والحريّةِ والتقوى.

وبينما يُعيدُ الغربُ تعريفَ الهويّةِ الجِنسيّةِ في ظلِّ التقلّباتِ الاجتماعيّةِ والصراعاتِ الأيديولوجيّةِ، يُعيدُ الإسلامُ تعريفَ الحريّةِ لا بصفتِها مَساحةً للهيمنةِ أو التفوّقِ، بل بصفتِها مسؤوليّةً أخلاقيّةً، ومنطلقًا لتحقيقِ السكينةِ والعدلِ والمودّةِ في العلاقةِ الإنسانيّةِ. وبهٰذا، فإنَّ الأُنموذَجَ الإسلاميَّ لا يقتصرُ على كونهِ بديلًا نظريًّا، بل يُقدِّمُ بِنْيةً واقعيّةً قابلةً للتطبيقِ في بناءِ مجتمعٍ متوازنٍ، تتكاملُ فيه الوظائفُ، وتتكافأُ فيه الحقوقُ، وتُصانُ فيه الكَرامةُ على قاعدةِ العدلِ، لا على منطقِ القوّةِ أو المُغالبةِ.

إنّ الحاجةَ اليومَ ماسّةٌ إلى إعادةِ قراءةِ العلاقةِ بينَ الجنسينِ قراءةً نقديّةً شاملةً، تُعالجُ الخللَ في النَّماذجِ القائمةِ، وتُعيدُ تأسيسَ العدالةِ الجِنسيّةِ على أساسِ الميثاقِ الإنسانيِّ لا الصراعِ الاجتماعيِّ. والأُنموذَجُ الإسلاميُّ، إذا ما أُعيدَ تأصيلُه وتفعيلُه وفقَ متطلّباتِ الواقعِ، يمكنُ أن يُشكّلَ قاعدةً إصلاحيّةً لنهضةٍ قِيميّةٍ إنسانيّةٍ تُعيدُ التوازنَ إلى العالمِ المُعاصرِ الذي يَئنُّ تحتَ وطأةِ التّفكّكِ الأُسَريِّ والتّنافرِ الاجتماعيِّ.

فَصْلُ الأخلاقِ عنِ الشريعةِ في العلاقةِ الزَّوجيةِ

قراءةٌ أخلاقيةٌ شرعيةٌ في ضوءِ الميثاقِ الغليظِ

تُعَدُّ العلاقةُ الزوجيةُ في الإسلامِ من أقدسِ الروابطِ التي شَرَّعَها اللهُ ﷻ، حيثُ قالَ تعالى:

﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النِّساء: 21).

ويَقَعُ كثيرٌ مِنَ الشبابِ المسلمِ في خطأٍ شَائِعٍ، وهو تقليد الغرب في فَصْلُ الأخلاقِ عَنِ الشريعةِ، خُصُوصًا خلالَ مَرْحَلَتَيِ الخطبةِ والزواجِ. فَفِي تلكَ المرحلةِ، يطلبُ أَحَدُهُمَا من الآخرِ وُعُودًا وديةً وعاطفيةً تُعَبِّرُ عَنِ التفاني والحبِّ والإخلاصِ. ولكن عِنْدَ ظهورِ التحدياتِ، قَدْ يتجاهلُ أحدهما تِلْكَ الوعودَ الأخلاقيةَ، ويَنْحَصِرُ فهمهُ لِلزَّواجِ في المطالبةِ بِالْحُقُوقِ الشرعيةِ فَقَطْ، مُتَغَافِلًا عَنِ الجانبِ القيميِّ الذي تَضَمَّنَهُ قولهُ تعالى.

المِيثَاقُ الغليظُ: أبعادٌ تشريعيةٌ وأخلاقيةٌ

أَكَّدَ ابنُ عاشور أَنَّ هذا "الميثاقَ الغليظَ" يُشِيرُ إلى العقدِ الذي يَقْتَضِي الإخلاصَ والمودةَ والوفاءَ بالعهدِ، مُعْتَبِرًا أن العلاقةَ الزوجيةَ ليست مُجَرَّدَ عقدٍ شرعيٍّ، وإنما رابطةٌ أخلاقيةٌ تَتَطَلَّبُ أدبًا وعَدْلًا في المعاملةِ (ابن عاشور, 1984).

وَفَسَّرَ السيّدُ الطباطبائي "المِيثَاقَ الغليظَ" بأنه العَهْدُ الذي يُنْشَأُ من عقدِ النكاحِ، ويَتَضَمَّنُ التزامًا شديدًا من الزوجِ تجاهَ الزوجةِ، لا سيما ما يتعلقُ بِحُسْنِ العشرةِ، واحترامِ الإنسانيةِ في هذا الرَّبْطِ (الطباطبائي, 1993).

ويَرَى الرازي أَنَّ الميثاقَ يتضمنُ الوعودَ العاطفيةَ التي يُقَدِّمُها الرجلُ في عقدِ النكاحِ، وأن الأسرةَ لا تُبْنَى فقط بالحقوقِ، بل بالمودةِ والرحمةِ (الرازي, 1981).

الاستعمارُ وفصلُ الأخلاقِ عن الشريعةِ: رؤيةُ وائلِ حلاق

يَرَى وائلُ حلاق أَنَّ الاستعمارَ الغربيَّ قد لَعِبَ دَوْرًا مَحْوَرِيًّا في فصلِ الأخلاقِ عن الشريعةِ الإسلاميةِ، مُعَزِّزًا تحويلَ الفقهِ إلى قانونٍ حديثٍ يَخْضَعُ لِسُلْطَةِ الدولةِ الحديثةِ. يُشِيرُ حلاق إلى أن هذا الفصلَ كانَ جُزْءًا مِنْ مَشْرُوعِ الحداثةِ الاسْتِعْماريّةِ، الذي هَدَفَ إلى هَدْمِ المؤسساتِ التقليديةِ الإسلاميةِ، كالمَحَاكِمِ الشرعيةِ، واستبدالِها بِنُمُوذَجٍ أوروبيٍّ يُفَضِّلُ القوانينَ الوضعيةَ على القيمِ الأخلاقيةِ المتأصلةِ في الشريعةِ (حلّاق, 2016).

وَفِي كتابِهِ "ما هي الشريعة؟"، يُوَضِّحُ حلاق أَنَّ التصورَ الاستشراقيَّ للشريعةِ، الذي صَاغَهُ المستشرقونَ في القرنِ التاسعَ عشرَ، قد قَوَّضَ طَبِيعَتَها الأخلاقيةَ، مُقَلِّصًا إياها إلى مُجَرَّدِ نِظَامٍ قانونيٍّ يَفْتَقِرُ إلى البُعْدِ القيميِّ الذي كانَ يَحْكُمُ المجتمعاتِ الإسلاميةِ لقرونٍ (حلّاق, 2016). ويَرَى أَنَّ هذا التحولَ أَدَّى إلى انفصالِ الشريعةِ عن بُنْيَتِها الاجتماعيةِ-المعرفيةِ، مما جَعَلَهَا أَدَاةً في يَدِ الدولةِ الحديثةِ لِتَبْرِيرِ مشاريعِها التشريعيةِ بَدَلًا مِنْ كَوْنِهَا إطارًا أخلاقيًّا شاملًا يَحْفَظُ كرامةَ الإنسانِ (حلّاق, 2016).

ويُؤَكِّدُ حلاق أنّ الشريعةَ، بِطَبِيعَتِها، تَرْتَكِزُ على نطاقٍ أخلاقيٍّ

مركزيٍّ يَضْمَنُ التكاملَ بينَ القانونِ والقيمِ، بِخِلَافِ النظامِ الحديثِ الذي يَفْصِلُ الأخلاقَ عن القانونِ، مُحَوِّلًا الإنسانَ إلى أداةٍ لخدمةِ الدولةِ (حلّاق, 2014). ويَرْفُضُ حلاق فكرةَ "أسلمةِ" المؤسساتِ الحديثةِ دونَ تغييرٍ أسسِها الفكريةِ، مُعْتَبِرًا ذلكَ سعيًا لِلْمُسْتَحِيلِ، لأن الدولةَ الحديثةَ تَتَنَاقَضُ جَوْهَرِيًّا مَعَ القيمِ الشرعيةِ-الأخلاقيةِ الإسلاميةِ (حلّاق, 2014).

أثرُ فصلِ الأخلاقِ عنِ الشريعة

رغمَ التزامِ الزَّوجِ بالنفقةِ أو الإمساكِ بالمعروفِ، فإنَّه قد يُهمِلُ الوُعودَ الوجدانيّة، وهو ما يُؤدّي إلى تفكُّكِ العلاقةِ الزوجيّة، وضَياعِ السَّكينةِ (Ali, 2016). إنَّ التوجيهَ الإلهي في قولِه تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النِّساء: 19)

يُثبِتُ أنَّ العلاقةَ الزوجيّةَ لا تقومُ إلّا على التَّكامُلِ بينَ الحقِّ والأخلاقِ.

حُلولٌ إسلاميَّةٌ للتَّوازُنِ بينَ الشَّريعةِ والأَخلاقِ

يَحثُّ الإسلامُ على دَمجِ الأَخلاقِ في مَنهجِ الزَّواج، باعتبارِها جُزءًا لا يَتجزَّأ منَ الميثاقِ الزَّوجي. وقد أكَّدَ الشَّيخُ محمد متولي الشَّعراوي (الشعراوي, 1997) أنَّ الزَّواجَ "**ميثاقٌ غليظٌ**" لا يُحافَظُ عليهِ إلّا بالوفاءِ العاطفيِّ والرَّحمةِ، مُشيرًا إلى أنَّ هذا الميثاقَ يُبيحُ للزَّوجينِ ما لا يُباحُ لغيرِهما، مما يُبرزُ عُمقَ العلاقةِ وأهميَّةَ الحفاظِ عليها.

كما دَعا باحثونَ مثل بَدوي (Badawi, 1995) إلى تَعزيزِ الوعيِ الأَخلاقيّ، منِ خلالِ التعليمِ الدينيِّ والتربيةِ الأُسريّةِ، حتّى يُصبِحَ الزَّواجُ شراكةً حقيقيّةً تُجَسِّدُ القِيمَ الإسلاميّة.

الخَاتِمَة

يَنبَغي للشَّبابِ أن يُدرِكوا أنَّ الزَّواجَ ليسَ مُجرَّدَ عَقدٍ قانونيٍّ، بل مِيثاقٌ غَليظٌ يَجمعُ بين العَهدِ والحُبِّ والعِفَّةِ والحَياءِ والمَودَّةِ والرَّحمَةِ، مُستَلهَمًا من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: 21). بهذا التكامل، تتحقق السَّكينةُ والاستقرار، ويُحقق الزواج مَقصده الإلهي في بناء أسرة متماسكة تُسهم في استقرار المجتمع وازدهاره.

التنافرُ الجنسيُّ في الغَربِ المُعاصرِ

يَتَصَاعَدُ التَّنَافُرُ الجنسيُّ فِي المجتمعاتِ الغربيةِ المُعَاصِرَةِ نَتِيجَةَ تَفَاعُلٍ مُعَقَّدٍ بَيْنَ العواملِ الاقتصاديةِ والاجتماعيةِ والسياسيةِ. فَعَلَى الصَّعِيدِ الاقتصاديِّ، أَدَّتِ العولمةُ وتَرَاجُعُ دَوْرِ النقاباتِ العماليةِ إِلَى تَآكُلِ الأمانِ الوظيفيِّ، لَا سِيَّمَا لَدَى الرجالِ مِنْ فِئَةِ الشبابِ، الَّذِينَ بَاتُوا يَنْظُرُونَ إِلَى صُعُودِ المرأةِ فِي سُوقِ العملِ بِوَصْفِهِ تَهْدِيدًا مُبَاشِرًا لِمَكَانَتِهِمُ الاقتصاديةِ وفُرَصِهِمُ المهنيةِ. وَقَدْ أَكَّدَتْ مُؤَسَّسَةُ Carnegie Endowment for International Peace أَنَّ هَذِهِ التحوّلاتِ تَسَبَّبَتْ فِي تَحْفِيزِ مَشَاعِرِ القلقِ والرفضِ تُجَاهَ مَكَاسِبِ المرأةِ، ضمنَ دِينَامِيَّاتٍ مُتَزَايِدَةٍ مِنَ الاستقطابِ الجنسيِّ (Carothers & O’Donohue, 2019).

أَمَّا عَلَى الصَّعِيدِ السياسيِّ والاجتماعيِّ، فَتُشِيرُ بَيَانَاتُ اسْتِطْلَاعٍ أَجْرَتْهُ مُؤَسَّسَةُ غالوب (Saad, 2024) إِلَى وُجُودِ فَجْوَةٍ أيديولوجيةٍ مُتَّسِعَةٍ بَيْنَ الجنسين، حَيْثُ تُعَرِّفُ 44٪ مِنَ النساءِ الشاباتِ أَنْفُسَهُنَّ بِأَنَّهُنَّ ليبراليات سِيَاسِيًّا، مُقَابِلَ 25٪ فَقَطْ مِنَ الرجالِ الشبانِ، وَهُوَ مَا يَعْكِسُ اخْتِلَافًا عَمِيقًا فِي مَنْظُومَاتِ القيمِ والمواقفِ تُجَاهَ قَضَايَا مِثْلَ النوعِ الاجتماعيِّ، والعدالةِ، والحرياتِ الشخصيةِ. وَقَدْ أَظْهَرَتْ هَذِهِ التباينات الأيديولوجيةُ أَثَرًا مُبَاشِرًا فِي تَرَاجُعِ مُعَدَّلَاتِ التفاهمِ بَيْنَ الجنسين، وتَنَامِي مَشَاعِرِ العزلةِ والانفصالِ العاطفيِّ والاجتماعيِّ.

وَفِي السِّيَاقِ ذَاتِهِ، تَرَى كارتر شيرمان (Sherman, 2025) أَنَّ مَا يُسَمَّى بِـ"الرُّكُودِ الجنسيِّ" بَيْنَ شبابِ الجيلِ الجَدِيدِ (Gen Z) هُوَ أَحَدُ

أَبْرَزِ تمثلاتِ هَذَا التَّنَافُرِ، حَيْثُ بَاتَ يُسَجَّلُ تَرَاجُعٌ مَلْحُوظٌ فِي معدلاتِ الارْتِبَاطِ والعلاقاتِ الحميمةِ، فِي ظِلِّ فَجْوَةٍ مُتَزَايِدَةٍ فِي التوقعاتِ والرغباتِ بَيْنَ الرجالِ والنساءِ، مَا يُهَدِّدُ مُسْتَقْبَلَ التماسكِ الاجْتِمَاعِيِّ والاسْتِقْرَارِ الأسريِّ.

فَشَلُ العلاقاتِ بَيْنَ الذكورِ والإناثِ فِي أمريكا: الأسبابُ وَالتَّبِعَاتُ

شَهِدَتْ العلاقاتُ بَيْنَ الذكورِ والإناثِ فِي الولاياتِ المتحدةِ تَحَوُّلَاتٍ جَوْهَرِيَّةً خلالَ العقودِ الأخيرةِ، انْعَكَسَتْ عَلَى **انحسارِ الرَّوَابِطِ العاطفيةِ والوجدانيةِ** وتَرَاجُعِ التماسكِ الاجْتِمَاعِيِّ بينَ الجنسينِ. تَعُودُ أسبابُ هَذَا التدهورِ إِلَى تَدَاخُلِ عَوَامِلَ عَدَّةٍ:

- **اقتصاديةٌ** مِثْلَ ارْتِفَاعِ تَكَالِيفِ المعيشةِ وتَأَخُّرِ الاستقرارِ المهنيِّ، مِمَّا يُؤَخِّرُ الزواجَ وتَأْسِيسَ الأسرِ؛
- **اجتماعيةٌ** مِنْهَا انْتِشَارُ ثَقَافَةِ الفرديةِ وتَغَيُّرِ معاييرِ الالتزامِ العَاطِفِيِّ؛
- **ثقافيةٌ** كَتَمَدُّدِ وَسَائِلِ التواصلِ الاجتماعيِّ وتَغَيُّرِ نَمَاذِجِ الترفيهِ التي تَعِيدُ تَشْكِيلَ توقعاتِ الشراكةِ بَيْنَ الرجلِ والمرأةِ.

إِنَّ هَذَا التعقيدَ يَفْرِضُ إِجْرَاءَ دِرَاسَةٍ مُعَمَّقَةٍ لِفَهْمِ دوافعِ الانفصالِ العاطفيِّ وآثَارِهِ على النسيجِ الأسريِّ والمجتمعيِّ فِي أمريكا، بِمَا يُمَكِّنُ مِنْ بَلْوَرَةِ سياساتٍ واسْتِرَاتِيجِيَّاتٍ لِلْتَصَدِّي لهذهِ الظاهرةِ واسْتِعَادَةِ الثقةِ والتكاملِ بَيْنَ الجنسينِ.

أَوَّلًا: مُؤشِّراتُ التَّدهورِ في العَلاقاتِ

تُشيرُ الدِّراساتُ الحَديثةُ إِلى تَدهورٍ مَلحوظٍ في العَلاقاتِ الرُّومانسيَّةِ بينَ الجِنسَينِ في الوِلاياتِ المُتَّحدةِ، لا سِيّما بينَ فِئةِ

الشَّبابِ. فَفي تَقريرٍ صادِرٍ عَن مَركزِ (Pew Research Center)، أَفادَ أَكثرُ مِن 60٪ مِنَ الشَّبابِ أَنَّهُم يُواجِهونَ صُعوباتٍ كَبيرةً في العُثورِ على شَريكٍ مُناسِبٍ، وذلكَ نَتيجةً لِلتَّغيُّراتِ في المَعاييرِ الاِجتِماعيَّةِ وَالمَخاوِفِ المُتَزايدةِ حَولَ الثِّقةِ وَالأمانِ الشَّخصيّ (Vogels & McClain, 2023). كَما يُؤكِّدُ (D. A. Cox & Hammond, 2025) أَنَّ 62٪ مِنَ الرِّجالِ العُزّابِ وَ67٪ مِنَ النِّساءِ العازِباتِ يُواجِهونَ تَحدِّياتٍ مُتزايدةً في التَّواعُدِ مُقارَنةً بِعَقدٍ مَضى.

أَمّا عَلى صَعيدِ مُعدَّلاتِ الطَّلاقِ، فَتُظهِرُ الإِحصاءاتُ أَنَّ المُعدَّلَ يَبلُغُ 2.4 لِكُلِّ 1000 شَخصٍ، مَعَ مُلاحَظةٍ أَنَّ 66٪ مِن حَالاتِ الطَّلاقِ تَبدأُها النِّساءُ، وَتَصِلُ النِّسبةُ إِلى 75٪ في بَعضِ الوِلاياتِ (*Divorce Statistics: Over 115 Studies, Facts and Rates for 2024*, 2025). وَفْقًا لِـ (Bunnell, 2025)، فَـقَد مَرَّ 75٪ مِنَ الأَمريكيّينَ بِتَجرِبةِ انفِصالٍ عَن شَريكٍ طَويلِ الأَمَدِ، وَ58٪ وَصَفُوا هٰذهِ الانفِصالاتِ بِأَنَّها «دِراميَّةٌ أَو فَوضويَّةٌ».

فِيما يَتعلَّقُ بِمُعدَّلاتِ الزَّواجِ، فَقَدِ انخَفَضَتْ بِـنِسبةِ 54٪ مُنذَ عامِ 1900 حَتّى عامِ 2022، حَيثُ بَلَغَ مُعدَّلُ الزَّواجِ 31.3 لِكُلِّ 1000 امرأةٍ غَيرِ مُتزوِّجةٍ، مِمّا يُشيرُ إِلى تَحوُّلٍ بَنيَويٍّ في أَنساقِ التَّرابُطِ الأُسَريِّ وَالاِجتِماعيّ (Loo, 2024).

عَلى الصَّعيدِ الأيديولوجيّ، كَشَفَتْ دِراسةٌ أَجرتها مُؤسَّسةُ Gallup أَنَّ الفَجوةَ في التَّوجُّهِ السِّياسيِّ بَينَ الجِنسَينِ باتَتْ واسِعةً بِوُضوحٍ، إِذ تُعرِّفُ 44٪ مِنَ النِّساءِ الشّابّاتِ أَنفُسَهُنَّ كـ"لِيبراليّاتٍ"، في مُقابِلِ 25٪ فَقط مِنَ الرِّجالِ، وَهوَ ما يُعكِسُ تَباعدًا في القِيَمِ وَالمَواقِفِ حِيالَ قَضايا النَّوعِ الاِجتِماعيِّ وَالحُرِّيّاتِ الشَّخصيّةِ (Ray & Ritter, 2025).

وَيُضافُ إِلى ذلكَ ما أَورَدَهُ مَعهدُ Carnegie مِن أَنَّ التَّوتُّراتِ

الإقتصاديَّةَ النّاتِجةَ عَنِ العَولَمةِ وَتَراجُعِ الفُرَصِ التَّقليديَّةِ لِلعَمَلِ لَدَى الرِّجالِ أَدَّتْ إلى شُعورٍ مُتزايدٍ بانعِدامِ الأَمانِ، وَإلى استِقطابٍ جِنسِيٍّ حادٍّ داخِلَ المُجتَمعِ (Kleinfeld, 2023).

وفِي ما سُمِّيَ بِـ"الرُّكودِ الجِنسيِّ"، أَشارَ باحِثونَ إلى أَنَّ مُعدَّلاتِ الاِرتِباطِ وَالعَلاقاتِ الحَميميَّةِ بَينَ شَبابِ Gen Z تَشهَدُ تَراجُعًا لافِتًا، نَتيجةَ فَجوةٍ مُتزايدةٍ في التَّوقُّعاتِ وَالرَّغَباتِ بَينَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ (Sherman, 2025)؛ (Twenge, J. M., Sherman, R. A., & Wells, B. E., 2023)، وَهٰذا ما يُهدِّدُ مُستَقبَلَ التَّماسُكِ الاِجتِماعيِّ وَالاستِقرارِ الأُسَريِّ.

ثانيًا: الأسبابُ الرَّئيسيّةُ للتّنافُرِ والفشلِ

1. **تغيُّراتٌ في الأعرافِ الجنسيَّةِ:** تُشيرُ دراسةُ كارنيغي إنداومانت (Carnegie Endowment: (Brechenmacher, 2025 إلى أنّ تزايدَ مُشاركةِ النّساءِ في سوقِ العملِ والتّعليمِ أدّى إلى شعورِ بعضِ الرّجالِ بالتّهديدِ، خاصَّةً في ظلِّ العولمةِ وانخفاضِ الأجورِ للرّجالِ في الطّبقةِ العاملةِ.

2. **العُنفُ الجنسيُّ والحقوقُ الإنجابيّةُ:** تُعاني النّساءُ من تمييزٍ في السّياسةِ والحقوقِ الإنجابيّةِ، مع فجواتٍ في التّعليمِ والخصوبةِ ناتجةٍ عن سُلطةٍ أقلَّ للنّساءِ في الأُسَرِ (Soken-Huberty, 2025).

3. **وسائلُ التّواصلِ والتّطبيقاتُ:** أفادتْ دراسةٌ أنَّ نصفَ النّساءِ يَصِفنَ تجارِبَهُنَّ عبرَ الإنترنتِ بالسّلبيّةِ، مع مَخاوِفَ تتعلّقُ بالأمانِ والثّقةِ (Deseret Magazine, 2025, February 26).

4. **الفجوةُ في الرّواتبِ والتّمييزُ في العملِ:** تُشيرُ بياناتُ مركزِ بيو للأبحاثِ إلى أنَّ النّساءَ في الولاياتِ المُتّحدةِ يَكْسِبْنَ 82 سنتًا مُقابلَ كلِّ دولارٍ يَكْسِبُهُ الرّجالُ، مع وجودِ فجوةٍ في الأجورِ تزدادُ مع التّقدُّمِ في العُمرِ والمَسارِ الوظيفيِّ (Kochhar, 2023).

5. **الفجوةُ الإيديولوجيّةُ:** تُشيرُ تقاريرُ إلى أنَّ النّساءَ أكثرُ عُرضةً للإجهادِ الدّاخليِّ، ممّا يُؤثِّرُ على الرّوابطِ والعلاقاتِ (D. A. Cox & Hammond, 2025).

ثالثًا: المآلاتُ والعواقبُ

1. **العُزلةُ الاجتماعيّةُ:** يرتبطُ انخفاضُ الرّوابطِ الاجتماعيّةِ بانخفاضِ التّعليمِ وزيادةِ العُزلةِ بينَ الشّبابِ غيرِ المُتعلِّمينَ (D. A. Cox & Hammond, 2025).

2. **مشاكلُ الصّحّةِ النّفسيّةِ:** يُعاني الرّجالُ بشكلٍ أكبرَ من عواقبِ الانفصالِ، مع ارتفاعِ معدّلاتِ الجرائمِ العنيفةِ والعُنفِ الذّاتيِّ بينهم (CDC, 2022).

3. **انخفاضُ معدّلاتِ الخصوبةِ والزّواجِ:** يُؤدّي ذلكَ إلى شَيخوخةٍ سُكّانيّةٍ ومشاكلَ اقتصاديّةٍ، مع انخفاضِ معدّلاتِ الزّواجِ والولادةِ (Loo, 2024).

4. **تفاقُمُ عدمِ المُساواةِ:** يَزيدُ ذلكَ من العُنفِ الجنسيِّ والتّمييزِ، مع تأثيرٍ سلبيٍّ على الأُسَرِ، خاصَّةً في حالاتِ الطّلاقِ والسّجنِ (*Divorce Statistics: Over 115 Studies, Facts and Rates for 2024*, 2025).

5. **تأثيرٌ سياسيٌّ:** يُعزِّزُ الفجواتِ الإيديولوجيّةَ، ممّا يُؤثِّرُ على

الانتخاباتِ والسّياساتِ الاجتماعيّةِ (D. A. Cox & Hammond, 2025).

رابعاً: التَّنافُرُ الجِنسيُّ في الغَربِ المُعاصِرِ

اِجتماعيًّا، عبّر 59٪ من **جيلِ زِد (Z)** عن اعتقادِهِم بأنّ الحركةَ النَّسويّةَ باتت تُشكّل تَمييزًا عكسيًّا ضدَّ الرّجالِ، وذلك وفقًا لاستطلاعٍ أجرتهُ مؤسّسةُ Ipsos عام 2024، ممّا يُظهِرُ انقسامًا ثقافيًّا عميقًا حولَ دورِ المرأةِ في المجتمعِ وحدودِ المُساواةِ.

أمّا اقتصاديًّا، فقد تجاوزتِ النساءُ الرجالَ في نِسبِ التسجيلِ في مؤسّساتِ التعليمِ العالي، ومع ذلك، يظلُّ الرجالُ يُشكّلون نحو 90٪ من مرتكبي الجرائمِ العنيفةِ في الولاياتِ المتّحدةِ (Faludi, 2009)، وهو ما يُعزّز مشاعرَ انعدامِ الأمنِ ويُغذّي أزمةَ الثقةِ في المؤسّساتِ الحكوميّةِ والقضائيّةِ.

تَنبُع هذه التوتّراتُ من قلقِ فئةٍ واسعةٍ من الرجالِ المتأثّرينَ بتقلّصِ امتيازاتِهم التقليديّةِ وانعدامِ الثقةِ بالدّولةِ ومؤسّساتِها، ممّا يدفعُ بعضَهم إلى تَبَنّي مواقفَ معاديةٍ للحقوقِ المدنيّةِ والحركاتِ النسويّةِ (Ferber, 2024, November 8; D. Cox, 2024, April 6).

وهكذا، يتحوّل التّنافرُ الجِنسيُّ في السّياقِ الغربيِّ من مجرّدِ اختلافٍ اجتماعيٍّ إلى عائقٍ جوهريٍّ أمام تحقيقِ العدالةِ والمساواةِ الاجتماعيّةِ.

خاتمةٌ

تُبَيِّنُ البياناتُ والتَّحليلاتُ أنَّ العلاقاتِ بينَ الذُّكورِ والإناثِ في الولاياتِ المُتَّحِدةِ تُواجِهُ تحدّياتٍ مُتَصاعِدَةً، تَتَطلَّبُ تدخُّلاتٍ مُتَكامِلَةً ومُتَعَدِّدَةَ المَستوياتِ لِمعالجةِ الأسبابِ الجذريَّةِ، مِثْلَ الفَردانيَّةِ المُفرِطَةِ

وتَفَكُّكِ الروابطِ الأسريَّةِ، والتَّبعاتِ المُترتِّبَةِ عَلَيْها، كَارتفاعِ مُعدّلاتِ الطلاقِ واضطراباتِ العلاقاتِ الاجتماعيَّةِ. (Torkamani, 2019).

جَدليّةُ التّعفيفِ والتّسْليعِ: مُقاربةٌ مُقارنةٌ

بين تّعفيفِ المَرأةِ وتَعليمِها واعدادِها في الإسلامِ وتشْيّئُها وتسْليعُها وتسْويقُها في الثقافةِ الاسْتهلاكيّة

يتبدّى في عصرِنا الحاضرِ، مع تشابكِ الثقافاتِ والعقائدِ في عالمٍ مترابطٍ، جدلٌ عميقٌ بين أُنْموذَجين متعارضين لهويّةِ المرأةِ: أُنْموذَجُ **التّعفيفِ في الرؤيةِ الإسلاميَّة**؛ إذ يصون القيمَ والعفافَ والكرامةَ والجسدَ والأسرةَ والمجتمعَ، ويُعلِي القيمةَ المعنويَّةَ والفكريَّةَ لتكون المعيارَ الأوّلَ للرجلِ والمرأةِ، وأُنْموذَجُ **التّسليع في المنظومةِ الاستهلاكيَّةِ الغربيَّة**، حيث تُختزل المرأةُ إلى سلعةٍ بصريّةٍ ورمزيّةٍ خاضعةٍ لقوانينِ السوقِ ومنطقِ الربحيّةِ.

لا تُمثِّلُ هذه الجدليَّةُ تناقضًا فكريًّا فحسب بل تكشفُ صراعًا وجوديًّا يمسُّ بلايينَ النساءِ حول العالم؛ إذ يَعرضُ الإسلامُ إطارًا أخلاقيًّا يصونُ ذاتَ المرأةِ من الاستغلالِ ويُعلي قدرَها، بينما تَفرضُ الثقافةُ الغربيَّةُ معاييرَ جَمالٍ وجاذبيَّةٍ تُحوِّلُ الجسدَ إلى أداةٍ اقتصاديَّةٍ تدورُ في فلكِ السوقِ والرِّبحِ.

يهدفُ هذا البحثُ إلى استقصاءِ هذه الثنائيَّةِ عبرَ مقارباتٍ شرعيَّةٍ واجتماعيَّةٍ ونفسيَّةٍ، مستندًا إلى نصوصٍ قرآنيَّةٍ وحديثيَّةٍ صحيحةٍ وإلى دراساتٍ أكاديميَّةٍ معاصرةٍ، ليُبيِّنَ كيف يصونُ التَّعفيفُ ذاتَ المرأةِ من اقتصادِ الصورةِ الذي يتهدَّدُ كرامتَها ويختزلُها إلى مجرّدِ موضوعٍ

للاستهلاكِ.

يستهلُّ البحثُ بتأصيلٍ شرعيٍّ مُحكَمٍ لمفاهيمِ العفافِ والحياءِ والاحتشامِ والحجابِ، مبيِّنًا مقاصدَ الشريعةِ في صيانةِ العِرضِ، ثم يرصدُ تحوُّلَ الجسدِ في الحضارةِ الغربيَّةِ من كيانٍ مكرَّمٍ إلى سلعةٍ عُرِضَتْ في أسواقِ الربحِ منذ الثورةِ الصناعيَّةِ حتى زمنِ المنصَّاتِ الرقميَّةِ. ويتلو ذلك تحليلٌ مُقارَنٌ معمَّقٌ عبر أربعةِ محاورَ كبرى: المرجعيَّةُ القيميَّةُ، والنمطُ التربويُّ، والبنيةُ القانونيَّةُ والأثرُ النفسيُّ والاجتماعيُّ. ثم يعرضُ البحثُ مبادراتٍ معاصرةً توفِّقُ بين التَّعفيفِ والإعداد المهنيِّ في المجتمعاتِ المسلمةِ، ويختتمُ بدعوةٍ إلى بناءِ هويَّةٍ إسلاميَّةٍ معاصرةٍ تنفتحُ على الحداثةِ من غيرِ تفريطٍ في القيمِ الجوهريَّةِ، مقترحًا تطبيقاتٍ عمليَّةً لمواجهةِ الأزماتِ العالميَّةِ.

يأتي هذا البحثُ في سياقِ ازديادِ الوعيِّ العالميِّ بحقوقِ المرأةِ وتحدّياتِها؛ إذ يُبيِّنُ كيف يُقدِّمُ الأُنموذَجُ الإسلاميُّ بديلًا مُتوازنًا يجمعُ بين الحرّيةِ الفرديّةِ والمسؤوليّةِ الجماعيّةِ، في وقتٍ يواجهُ فيه الغربُ أزماتٍ وجوديّةً؛ أبرزُها تفكُّكُ الأسرةِ وَتراجُعُ معدّلِ الخصوبةِ إلى 1.6 طفلٍ لكلِّ امرأةٍ في الولاياتِ المتّحدةِ عامَ 2024 وَفْقَ أحدثِ بياناتِ مراكزِ مكافحةِ الأمراضِ والوقايةِ منها (The Associated Press, 2025). ومع تنامي الدراساتِ التي توثِّقُ أثرَ الثقافةِ الاستهلاكيّةِ في الصّحّةِ النفسيّةِ، تُظهِرُ بحوثٌ تجريبيّةٌ في علمِ النَّفسِ أنّ اضطراباتَ صورةِ الجسدِ تمسُّ نحوَ ٪ 70 من الشابّاتِ في المجتمعاتِ الغربيّةِ، مُهدِّدةً كرامتَهُنَّ وَمختزِلةً إيّاهُنَّ إلى موضوعٍ للاستهلاكِ البصريِّ والرّمزيِّ

لقد أصبح من الضروري إعادةُ بناءِ هويّةِ نهوضِ المرأةِ في مواجهةِ التحدّياتِ الكونيّة؛ إذ يحذّر تقريرٌ للمنظّمةِ العالميّةِ للأرصادِ الجويّةِ (Watts, 2025) من احتمالٍ يبلغُ ٪ 70 لتخطّي متوسّطِ الاحترارِ العالميِّ عتبةَ 1.5 درجةٍ مئويّةٍ بين 2025-2029، ما يُفاقمُ النزاعاتِ

والنزوحَ ويضاعفُ عبءَ الأخطارِ على الفئاتِ الأكثرِ هشاشةً. وفي السياقِ ذاتهِ يُشيرُ أحدثُ إحصاءٍ اتحاديٍّ (The Associated Press, 2025) إلى تراجعٍ معدَّلِ الخصوبةِ في الولاياتِ المتّحدةِ إلى أقلَّ من 1.6 طفلٍ لكلِّ امرأةٍ عامَ 2024، وهو مؤشّرٌ ديموغرافيٌّ يهدّدُ الاستقرارَ الاجتماعيَّ ويكشفُ أزمةً في منظومةِ الأسرةِ الغربيّة. ويزدادُ المشهدُ قتامةً مع اتّساعِ اضطراباتِ صورةِ الجسدِ لتطالَ قرابةَ ٪ 70 من الفتياتِ اليافعاتِ في المجتمعاتِ الغربيّةِ، نتيجةَ ضغطِ الثقافةِ الاستهلاكيّةِ ومعاييرِ الجمالِ المتقلّبةِ (Apriliana & Suratmini, 2024).

أمامَ هذه الأزماتِ المتشابكةِ يقدّمُ الأُنموذَجُ الإسلاميُّ بديلًا مُتوازنًا يزاوجُ بين الحرّيّةِ الفرديّةِ والمسؤوليَّةِ الجمعيَّةِ؛ فالحجابُ والتّعفيفُ لا يُقصدُ بهما قمعُ الذاتِ بل إعدادها من مقاومةِ اقتصادِ الصورةِ وحمايةُ كرامتِها من الاستغلالِ البصريّ والرمزيّ. وقد أظهرتْ دراسةٌ ميدانيّةٌ في غلاسكو أنّ النساءَ المسلماتِ المحجَّباتِ يلمسنَ شعورًا أعلى ب الإعداد والثقةِ في مواجهةِ التمييزِ مقارنةً بغيرهنَّ (Siraj, 2011)، ما يُفندُ السرديّاتِ الغربيّةَ التي تختزلُ الحجابَ في خطابِ القمعِ ويؤكّدُ قدرتَهُ على تعزيزِ الذاتيّةِ ومناهضةِ التسليع. بهذا المنظورِ يغدو التّعفيفُ ركيزةً لبناءِ هويةٍ إسلاميّةٍ معاصرةٍ تتفاعلُ مع الحداثةِ دونَ أن تتنازلَ عن قيمِها الجوهريّة، مُقدِّمةً حلولًا عمليّةً لمواجهةِ الأزماتِ العالميّةِ من منظورٍ أخلاقيٍّ ومسؤوليٍّ.

شَهِدَ الغربُ مُنْذُ الثَّوْرَةِ الصناعيةِ فِي القرنِ التَّاسِعَ عَشَرَ تَحَوُّلًا بنيويًّا فِي ملامحِ هُوِيَّةِ المرأةِ؛ إِذِ اسْتَحَالَ جَسَدُهَا أَدَاةً لِلِاسْتِهْلَاكِ وَرَمْزًا لِلْجَمَالِ والرغبةِ، فَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي إعلاناتٍ وَظَّفَتْ صُورَةَ الأنثى لِاسْتِثَارَةِ الطلبِ وَدَعْمِ سوقٍ رَأْسِمَالِيَّةٍ نَاشِئَةٍ (Bowlby, 1993). وَعَلَى امتدادِ القرنِ العشرينَ تَعَزَّزَ هَذَا المسارُ مَعَ ازْدِهَارِ مَجَلَّاتِ الموضةِ والإعلاناتِ المطبوعةِ والمرئيةِ، فَغَدَتْ قِيمَةُ المرأةِ مَقِيسَةً بِمَظْهَرِهَا الخارجيِّ

وخضوعِها لِمَعَاييرِ جمالٍ مِثَالِيَّةٍ مُتَقَلِّبَةٍ. وَقَدْ أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى شيوعِ اضطراباتِ الأكلِ وَجِرَاحَاتِ التجميلِ بِوَصْفِهَا وسائلَ قَسْرِيَّةً لِلتَّكَيُّفِ مَعَ تِلْكَ المعاييرِ، مَا رَسَّخَ اختزالَ المرأةِ إِلَى سِلْعَةٍ تَدُورُ فِي فَلَكِ المنظومةِ الاستهلاكيةِ الغربيةِ.

شَارَكَتِ المرأةُ مُنْذُ صَدْرِ الإسلامِ مُشَارَكَةً فَعَّالَةً فِي المجالينِ الاقتصاديِّ والعلميِّ؛ فَكَانَتْ خديجةُ بِنْتُ خويلدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَاجِرَةً رَائِدَةً تُدِيرُ تِجَارَتَهَا بِمَهَارَةٍ، وَكَانَتْ فاطمةُ الزهراءُ عَالِمَةً وَمُعَلِّمَةً ضمنَ محيطها، مَعَ الْتِزَامِهِمَا مَبْدَأَيِ التَّعفيفِ والحياءِ اللَّذَيْنِ يَصُونَانِ الكرامةَ. وَقَدْ ضَبَطَ القرآنُ العلاقاتِ الاجتماعيةَ بِقَوْلِهِ تعالى:

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ (النور: 31)،

فَجَعَلَ هَذَا التوجيهُ حَائِلًا دُونَ أَيِّ استغلالٍ (Badawi, 1995). وَيَتَجَلَّى التناقضُ التاريخيُّ فِي أَنَّ الإسلامَ حَافَظَ عَلَى هويةٍ نسائيةٍ مُتَوَازِنَةٍ، بَيْنَمَا أَدَّى النظامُ الرأسماليُّ الغربيُّ إِلَى تَسْليع المَرْأةِ، الأَمْرُ الذي دَفَعَ بَعْضَ النساءِ الغربياتِ إِلَى اعتناقِ الإسلامِ رَفْضًا لِذَلِكَ التشييءِ.

تُبْرِزُ دراساتُ التحولِ الدينيِّ بينَ نساءِ الغربِ حالةً دالةً عَلَى رفضِ التشييءِ الرأسماليِّ للجسدِ، إِذْ تكشفُ سرديَاتُ أمريكياتٍ وأوروبياتٍ اعْتَنَقْنَ الإسلامَ أَنَّهُنَّ وجدنَ في مبدأِ التَّعفيفِ والحجابِ تحريرًا مِنْ ضغوطِ «جمالِ السوقِ»، حيثَ يعاملُ الجسدُ كأمانةٍ إلهيةٍ لا كسلعةٍ استعراضيةٍ (Rahman, 2017; Raja, 2014). فَفِي دراسةٍ كميةٍ حديثةٍ، وَجَدَ (Maslim, A. A., & Bjork, J., 2021) أن تسعةَ أسبابٍ رئيسيةٍ تدفعُ النساءَ الأمريكياتِ لاعتناقِ الإسلامِ، أبرزها رفضُ التشييءِ وتعزيزُ الكرامةِ الداخليةِ، إلى جانبِ السخطِ على الثقافةِ الاستهلاكيةِ.

وعلى المستوى النوعيِّ، بَيَّنَتْ دراسةٌ ميدانيةٌ قامتْ بها (Siraj, 2011) في غلاسكو أَنَّ النساءَ المحجباتِ يشعرنَ بإعداد أكبرَ وثقةٍ أرسخَ

في مواجهةِ التمييزِ مقارنةً بغيرهن، حيثَ ينظرُ إلى الحجابِ كممارسةٍ اختياريةٍ تجسدُ التواضعَ وتقاومُ تَسْليع المَرْأةِ. وفي الإطارِ الأنثروبولوجيِّ، أَوْضَحَتْ (Mahmood, 2005) أن حركاتِ التدينِ النسائيّة تعيدُ تعريفَ مفهومِ الفاعليةِ من خلالِ أخلاقياتِ الذاتِ، لا من خلالِ معاييرِ السوقِ الاستهلاكيةِ، بحيثَ يصبحُ الحجابُ أداةً لبناءِ الذاتِ وليسَ قيدًا خارجيًا.

تؤسسُ تلكَ الشهاداتُ جسرًا ثقافيًا جديدًا، إذ تُقَدَّمُ نهضةُ المرأةِ المسلمةِ بوصفها استراتيجيةَ إعداد تواجهُ الرأسماليةَ المنحازةَ للجسدِ، وتعيدُ مركزيةَ الكرامةِ الداخليةِ، مؤكدةً أن التّعفيفَ الإسلاميَّ لا يعادي الحريةَ بل يعيدُ صياغتها ضمنَ أطرٍ قيميةٍ تحفظُ الإنسانَ وتقاومُ الاستغلالَ.

ومن الناحيةِ الإحصائيةِ يفيدُ تقريرٌ للبنكِ الدوليِّ بأن نسبةَ التحاقِ النساءِ بالتعليمِ العالي في دولٍ مسلمةٍ مثلَ قطرَ بلغتْ 67 ٪، وهو مؤشرٌ على تقدمٍ يتحققُ في ظلِّ الالتزامِ بالقيمِ الإسلاميةِ (Bonfert & Wadhwa, 2024: World Bank).

أهدافُ البحث

تهدفُ هذه الدراسةُ إلى:

1. **تحليلِ التناقضاتِ البنيويّةِ** بين أُنْموذَجِ التَّعفيفِ الإسلاميّ الذي يُصونُ القيمَ والكرامةَ ويعتمدُ مرجعيّةً أخلاقيّةً جماعيّةً، وأُنْموذَجِ التّسليعِ الغربيّ الذي يُخضعُ الجسدَ لقوانينِ العرضِ والرّبحِ (Bowlby, 1993)؛ (Badawi, 1995).
2. **بلورةِ أُنْموذَجٍ إسلاميٍّ حديثٍ** يوازِنُ بين الحرّيةِ الفرديّةِ والمسؤوليّةِ الجماعيّة والأخلاق، ويُعيدُ تعريفَ الإعداد النسائي

خارج منظومةِ «اقتصادِ الصورة» عبرَ إطارٍ قيميٍّ يحفظُ الكرامةَ الداخليّةَ (Mahmood, 2005)؛ (Siraj, 2011).

3. **صياغةِ توصياتٍ عمليّةٍ أوليّةٍ** أبرزُها دمجُ نهضةِ المرأةِ المسلمةِ في السياساتِ التعليميّةِ وبرامجِ تنميةِ المهاراتِ لمواجهةِ التّسليعِ وتسريعِ المشاركةِ الإنتاجيّةِ الرّشيدةِ (World Bank: Bonfert & Wadhwa, 2024)).

أهمّيّةُ البحث

تكمُنُ أهمّيّةُ هذه الدراسةِ في إسهامِها ببناءِ **حوارٍ حضاريٍّ** يربطُ بين الرؤيتَيْنِ الإسلاميّةِ والغربيّةِ حولَ هويّةِ المرأةِ، ولا سيّما في ظلّ أزماتٍ غربيّةٍ متزايدةٍ مثل **الانكماشِ الديموغرافيّ**؛ إذ يُتوقَّعُ استمرارُ انخفاضِ معدَّلِ الخصوبةِ في أوروبا، ما يُهدِّدُ توازنَ القوى العاملةِ وتركيبةَ الأسرةِ التقليديّةِ (Adolphson, 2008; Human Life International: (Boquet, 2024). ومن ثَمّ يُقدِّمُ الأُنموذَجُ الإسلاميُّ المُقترَحُ إطارًا أخلاقيًّا وثقافيًّا بديلًا يستجيبُ لتحدّياتِ العصرِ بإعادةِ مركزيةِ الكرامةِ والقيمِ المشتركةِ، ويُعزِّزُ مساهمةَ المرأةِ المسلمةِ في التنميةِ المستدامةِ دونَ الانجرافِ نحو تسليعِ الذّاتِ.

فيما يلي جدولٌ مُحَدَّثٌ يوضِّحُ أهمَّ جوانبِ التباينِ بين هُويَّتَي نهوضِ المرأةِ في السياقَيْنِ الإسلاميِّ والغربيِّ الاستهلاكيِّ:

الجانب	الهُويَّة الإسلاميَّة	الهُويَّة الغربيَّة الاستهلاكيَّة

المرجعيَّة	الكرامةُ الإلهيَّةُ المستقاةُ من القرآنِ والسُّنَّةِ، المؤكِّدةُ على قيمةِ الإنسانِ بصفته خليفة (Badawi, 1995)	الربحيَّةُ ومنطقُ السوقِ؛ حيث تُحدَّدُ قيمةُ المرأةِ بمعاييرِ الجمالِ التنافسيَّةِ (Bowlby, 1993)
الدَّورُ الاجتماعيُّ	مشاركةٌ متوازنةٌ في الاقتصادِ والتعلُّم مع التزامِ الحياءِ والتَّعفيفِ؛ أُنْموذَجُ خديجةَ وفاطمةَ رضي الله عنهما دليلٌ تاريخيٌّ (Siraj, 2011)	تحوُّلُ الجسدِ إلى سلعةٍ بصريَّةٍ ورمزيَّةٍ تخضعُ للعرضِ والطلبِ في الإعلاناتِ والمنصَّاتِ (Mohd Hassan, S. A., & Othman, N., 2021)
الأثرُ النفسيُّ	تعزيزُ الثقةِ الذاتيَّةِ وصيانةُ الصِّحَّةِ النفسيَّةِ عبر غَضِّ البصرِ وحفظِ الخصوصيَّةِ (Badawi, 1995)	ارتفاعُ اضطراباتِ صورةِ الجسدِ، وازديادُ القلقِ والاكتئابِ لدى الشابَّاتِ بنسبةٍ تُقاربُ ٪ 70 (Mohd Hassan, S. A., & Othman, N., 2021)
المثالُ التاريخيُّ	أسّستْ فاطمةُ الفِهريّةُ بنتُ محمدٍ، الملقّبةُ بأمِّ البنينِ، جامعَ القرويينِ في فاسٍ سنةَ 245هـ/859م، متبرّعةً بكلِّ إرثِها لبنائه؛ فصارَ نواةَ أقدمِ جامعةٍ قائمةٍ في العالم. (Makdisi, 1984)	توظيفُ المرأةِ شعارًا تسويقيًّا في إعلاناتِ الثورةِ الصناعيَّةِ واستمرارُ ذلك في ثقافةِ الموضةِ (Bowlby, 1993)

يُمهِّدُ هذا العرضُ المقارنُ لتحليلٍ أعمقَ في الأقسامِ اللاحقةِ، حيثُ ستُستكشفُ جذورُ التناقضِ البنيويِّ، وتُقترَحُ رؤيةٌ إسلاميَّةٌ حديثةٌ تُزاوِجُ بين الحرِّيَّةِ الفرديَّةِ والمسؤوليَّةِ الجماعيَّةِ، مع توصياتٍ عمليَّةٍ لدمجِ نهضةِ المرأةِ المُسلمةِ في السياساتِ التعليميَّةِ والتنمويةِ لمواجهةِ ظاهرةِ التَّسليعِ.

يُختَتَمُ البحثُ بإبرازِ أنّ نَهضةَ المرأةِ المُسلِمةِ تُؤدّي دورَ جسرٍ يصلُ بين الأُنموذَجَيْن؛ إذ تجمعُ بين الإعداد وصَونِ الكرامة، كما تُشيرُ دراساتُ التديُّنِ النسائيّ التي ترى في الحجابِ تحرّرًا من النظرةِ الذكوريَّةِ (Mahmood, 2005). ويُتيحُ هذا الجسرُ مُواجهةَ الأزماتِ العالميَّةِ الراهنةِ، من تَراجُعِ الخصوبةِ في الغربِ إلى 1.599 طفلٍ لكلّ امرأةٍ عامَ 2024 (Human Life International: (Boquet, 2024)، إلى خطرِ تجاوزِ الاحترارِ العالميِّ عتبةَ 1.5 درجةٍ مئويّةٍ (The Guardian: (Watts, 2025)، عبرَ أُنموذَجٍ يُعزِّزُ الاستدامةَ الأسريَّةَ والأخلاقيَّةَ.

تُبيِّنُ نهضةُ المرأةِ المسلمةِ أنّ الإعداد لا يَلزمُهُ التخلِّي عن التُّقَى والحياءِ والعفة؛ بل يَتشكَّلُ منهما إطارٌ قيميٌّ يعيدُ بناءَ الهُويَّةِ الأنثويَّةِ بحيث تُصبحُ مُقاوِمةً للتسليعِ لا مُستسلِمةً له (Mahmood, 2005). ويكتسبُ هذا الجسرُ الأخلاقيُّ أهميَّتَهُ في زمنِ الأزماتِ البيئيَّة؛ إذ يَحُثُّ الإسلامُ على تحمُّلِ «الأمانة» الكونيَّةِ:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ (الأحزاب: 72)،

فيغدو التزامُ المرأةِ بالتّعفيفِ مساهمةً في صَونِ الخليقةِ لا مجرّدَ قضيةٍ شخصيَّة. وفي ضوءِ تقريرٍ أخيرٍ للمنظّمةِ العالميَّةِ للأرصادِ يؤكِّدُ احتمالًا يبلغُ ٪ 70 لتخطّي المتوسِّطِ العالميِّ 1.5° مئويَّةٍ خلال 2025-2029، يقدِّمُ الأُنموذَجُ الإسلاميُّ مسلكًا وقائيًّا يوازنُ بين الاستهلاكِ والرعايةِ البيئيَّةِ ويُخفِّفُ دوافعَ النزوحِ المُتوقَّعِ إلى 250 مليونَ

مُهاجِرٍ مناخيٍّ بحلول 2050 (The Guardian: (Watts, 2025).

وعلى الصعيدِ الديموغرافيِّ يُسهمُ هذا الأُنموذَجُ في معالجةِ الانكماشِ السُّكّانيِّ؛ فالإسلامُ يشجِّعُ الزواجَ والأسرةَ بوصفِهما قيمتَيْنِ تأسيسيَّتَيْن، في مقابلِ ثقافةٍ فردانيَّةٍ غربيَّةٍ تَرافقَ معها هبوطُ نسبةِ المتزوِّجين في إنكلترا وويلز إلى ٪ 49.4 عام 2022 (Office for National Statistics, 2024)، وتراجُعُ معدَّلاتِ الزواجِ إلى أقلَّ من ٪ 50 في عدّةِ دولٍ أوروبيَّةٍ (Eurostat, 2023). هكذا تُعزِّزُ نهضةُ المرأةِ المسلمةِ الاستدامةَ الأُسريَّةَ والأخلاقيَّةَ، فتُشكِّلُ جسرًا ثقافيًّا يُواجِهُ التحدّياتِ البيئيَّةَ والديموغرافيَّةَ معًا، ويقدِّمُ بديلًا حضاريًّا يجمعُ بين الإعداد والكرامةِ الذاتيَّةِ.

يُبيِّنُ أُنْموذَجُ نهضةِ المرأةِ المُسلِمةِ أنّ الإعداد الحقَّ ينبثقُ من التُّقى والحياءِ، لا من التعرّي لقوانينِ السوق؛ فهو يُعيدُ تعريفَ «الفاعليّة» عبرَ بناءِ هويّةٍ مُقاوِمةٍ للتسليعِ (Mahmood, 2005). وتتجلّى أهميّتُهُ في عصرِ أزماتٍ متداخلةٍ:

1. **الأزمةُ البيئيّة:** يحثُّ الإسلامُ على تحمُّلِ «الأمانة» الكونيّة

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ (الأحزاب: 72)،

فيقدّمُ إطارًا أخلاقيًّا يوازنُ بين الاستهلاكِ وحفظِ الخَلْق، وهو ما تحتاجُ إليه البشريّةُ مع احتمالِ تجاوزِ الاحترارِ العالميّ 1.5° مئويّةٍ خلال 2025-2029 (The Guardian: (Watts, 2025).

2. **الأزمةُ الديموغرافيّة:** بتشجيعِه الزواجَ والأسرةَ قيمةً أساسيّةً، يُسهمُ الأُنموذَجُ الإسلاميُّ في معالجةِ الانكماشِ السكّانيّ الذي ظهر في هبوطِ معدَّلِ الخصوبةِ في أوروبا والولاياتِ المتّحدةِ إلى

نحو 1.6 طفلٍ لكلّ امرأةٍ (Human Life International: Boquet, 2024)) وتدنّي نِسَبِ الزواجِ إلى أقلّ من ٪ 50 في بعضِ الدولِ الأوروبيّةِ (Eurostat, 2023).

3. **الأزمةُ الأمنيّة:** يُعزّزُ قيمَ السِّلمِ والعدلِ؛ فالرسولُ (ص) قال: «المسلمُ مَن سَلِمَ المسلمونَ من لسانِهِ ويدِهِ» (صحيح البخاري, 1893; صحيح مسلم, 2013)، وهي قاعدةٌ أخلاقيّةٌ تُفرملُ سباقاتِ التسلّحِ النوويّ الجاريةِ مع تحديثِ الترساناتِ في روسيا والولاياتِ المتّحدةِ (SIPRI-Stockholm International Peace Research Institute, 2025).

4. **الابتكارُ التكنولوجيّ:** الانفتاحُ على الحداثةِ لا ينفي القيمَ؛ إذ تُوظَّفُ التقنيّةُ في تعزيزِ التّعفيفِ عبرَ تطبيقاتِ الأزياءِ المحتشمةِ الرقميّة، ما يجعلُ الأُنموذَجَ الإسلاميَّ طرحًا عالميًّا لإعداد النساءِ في عصرِ الأزماتِ (Lewis, 2013).

هكذا يُقدِّمُ هذا الأُنموذَجُ جسرًا حضاريًّا يُعيدُ التوازنَ بين الإنسانِ والخليقةِ، ويحمي كرامةَ المرأةِ بوصفِها ركيزةً لأيّ مشروعٍ نهضويٍّ مُستدام.

التّأصيلُ الإسْلاميُّ لتَعفيفِ المَرأةِ

يُؤصِّلُ الإسلامُ مبدأَ التّعفيفِ بوصفِه بنيةً قيميّةً تُصونُ كرامةَ المرأةِ، فيعقدُ له أساسًا قرآنيًّا وحديثيًّا يربطُ الحياءَ والحجابَ بحفظِ العِرضِ والذّاتِ. قال تعالى:

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (النور: 31)،

فأثبتَ أنّ الجسدَ أمانةٌ إلهيّةٌ لا سلعةٌ تجاريّةٌ، وقرنَ غضَّ البصرِ بحفظِ الفرجِ وإخفاءِ الزينةِ إلّا ما يظهرُ طبيعيًّا. وتسبقُ هذه الآيةَ آيةٌ تُلزِمُ الرجالَ أيضًا بغضِّ الأبصارِ، فيتَّضحُ أنّ التّعفيفَ مسؤوليةٌ مشتركةٌ بين الجنسين لبناءِ مجتمعٍ عفيفٍ. وقد فسَّرَ العلماءُ التقليديّون عبارةَ «مَا ظَهَرَ مِنْهَا» بأنّه الوجهُ والكفّانِ في سياقاتِ العملِ والمعاش، مؤكّدين على الجوهرِ الأخلاقيِّ لا على المظهرِ وحده (الغزالي, 2005).

يُعضِّدُ الحديثُ النبويُّ هذا المفهومَ إذ قال (ص): «كُلُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ ومالُهُ وعِرْضُهُ» (البروجردي, 1413 هـ) ه; (صحيح البخاري, 1893; صحيح مسلم, 2013)، فَيُحصِّنُ الشرفَ النسائيَّ من أيِّ اعتداءٍ جسديٍّ أو رمزيّ، ويترسَّخُ بذلك مقصدُ حفظِ العِرضِ أحدُ المقاصدِ الخمسةِ الكبرى للشريعةِ (حفظُ الدينِ والنفسِ والعقلِ والنَّسْلِ والمالِ). ويتجاوزُ هذا المقصدُ صيانةَ الجسدِ إلى رعايةِ

الكرامةِ الإنسانيّة؛ إذ يُنظَرُ إلى الجسدِ على أنّه أمانةٌ إلهيّةٌ تُصانُ من الابتذالِ والاستغلالِ. ويقرنُ الغزاليُّ الحياءَ بالتقوى الباطنيّة، فيجعلُ التّعفيفَ سلوكًا إيمانيًّا لا مظهرًا فحسب (الغزالي, 2005). كما يؤكّدُ قوله (ص): «الحياءُ من الإيمانِ» (صحيح البخاري, 1893; صحيح مسلم, 2013) أنّ الحياءَ فرعٌ من فروعِ الإيمانِ يُعزّزُ الاحترامَ الذاتيَّ والاجتماعيَّ.

يترسّخ هذا المفهوم في الحديث النبويّ إذ قال الرسولُ (ص): «كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ دمه ومالُه وعرضُه» (صحيح مسلم, 2013)، حاميًا الشرفَ النسائيَّ من أيّ اعتداءٍ جسديٍّ أو رمزيّ؛ ويُشكلُ هذا الحديثُ ركيزةً لمقصدِ حفظِ العرض الذي يتجاوزُ صيانةَ الجسدِ إلى صونِ الكرامةِ الإنسانيّةِ ضمنَ المقاصدِ الخمسةِ الكبرى للشريعةِ: الدينِ والنفسِ والعقلِ والنسلِ والمال. ويربطُ الإمامُ الغزاليُّ الحياءَ بالتقوى الباطنيّةِ، فيجعلُ التَّعفيفَ سلوكًا يعكسُ الإيمانَ الداخليَّ لا مظهرًا خارجيًّا فحسب (الغزالي, 2005). ويؤكّدُ قولهُ (ص): «الحياءُ من الإيمانِ» (صحيح البخاري, 1893; صحيح مسلم, 2013) أنّ الحياءَ فرعٌ من فروعِ الإيمانِ يعزّزُ الاحترامَ الذاتيَّ والاجتماعيَّ.

مقاصد الشريعة في حفظ العرض

يُعَدُّ **مقصدُ حفظِ العرض** من المقاصدِ الضروريّةِ في الشريعةِ الإسلاميّةِ كما حدَّدَهُ الإمامُ الشاطبيُّ في كتابه *الموافقات في أصول الشريعة*؛ فقد صنَّفَهُ ضمن المقاصدِ التي تحمي **الكرامة الإنسانيّة** من أيّ انتهاكٍ جسديٍّ أو رمزيٍّ، بما يضمنُ استقرارَ المجتمعِ ويصدُّ الفتن (الشاطبي, 2004). ويُفسِّر الشاطبيُّ حفظَ العرضِ بأنَّهُ حمايةٌ للشرفِ والذّاتِ امتدادًا لمقاصدِ الشريعةِ الخمسةِ: الدينِ والنفسِ والعقلِ والنّسلِ والمال.

وقد وسَّعَ كلٌّ من الإمام ابن عاشور (ابن عاشور, 2001) وعبد المجيد النّجار (النجار, 2008) هذا المقصدَ ليشملَ **حمايةَ المرأةِ** من الانزلاقِ في ثقافةِ الاستهلاكِ التي تختزلُ الجسدَ إلى سلعةٍ؛ إذ يعدُّ التَّعفيفَ والحياءَ أدواتٍ للتصدّي لتتَسْليع المَرْأةِ في العصرِ الحديث.

وفي الفقهِ المعاصر، قارنَ خالدُ أبو الفضلِ هذا المقصدَ بقيمِ الحرّيةِ الغربيةِ، مؤكدًا أنّ الإسلامَ يوفر حمايةً وقائيّةً تمنعُ التشييءَ من جذوره، خلافًا للتشريعاتِ الغربيةِ التي تتعاملُ مع الانتهاكاتِ بعد وقوعها (Abou El Fadl, 2014).

تعكسُ هذه التفسيراتُ مرونةَ مقصدِ حفظِ العرضِ في التكيّفِ مع تحدّياتِ العصر، لا سيّما في مواجهةِ وسائلِ التواصلِ التي تُروِّجُ للابتذالِ، فتجعلُ **التَّعفيفَ** أداةً فعّالةً لصونِ الكرامةِ في عالمٍ مترابطٍ.

يتبيّنُ من هذا القسم أنَّ مقصدَ **حفظِ العرض** تفاعلي لا ثابتٌ جامدٌ، إذ يرى الشاطبي (الشاطبي, 2004) أنّه ضمانٌ لحمايةِ النفسِ والمجتمعِ من الفتنِ والاختلال، بينما يوسعُ ابنُ عاشور (ابن عاشور, 2001) مداهُ ليشملَ الجوانبَ الاجتماعيةَ كمنعِ التحرشِ في الأماكنِ العامة. وفي مقابلِ ذلكَ، ينتقدُ أبو الفضل (Abou El Fadl, 2014) التفسيراتِ التقليديةَ الجامدةَ التي قد تُستخدمُ في القمعِ، مؤكدًا أنَّ حفظَ العرضِ يساهمُ في إيجادِ بيئةٍ آمنةٍ تُعزِّزُ الإعداد النسائيَّ. وتعكسُ هذه المقارنةُ حيويةَ المقصدِ ودورهُ في دعمِ **التّعفيفِ** كأداةٍ للإعداد في العصرِ الحديثِ.

التوسعُ التاريخي: دراساتُ حالةٍ عن النساءِ في الإسلامِ

في صدرِ الإسلامِ أضاءتْ خديجةُ بنتُ خويلدٍ، زوجةُ الرسولِ، رضيَ اللهُ عنها مثالًا للنشاطِ الاقتصاديِّ المدعومِ بقيمِ العفةِ؛ فقد أدارتْ تجارةً رائجةً وكانَ لحجابها وتَعفيفُها أثرٌ في تعزيزِ مصداقيتها واحترامِ

المجتمعِ لها (Badawi, 1995). وتلتها ابنتها فاطمةُ الزهراءُ عليها السلامُ التي جمعتْ بينَ العفةِ والعلمِ، فدرستْ صحابياتٍ وروتْ أحاديثًا ثمينةً في بيتِ النبوةِ (Badawi, 1995)، ثم برهنتْ عائشةُ بنتُ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنها على أن التّعفيفَ لا يعوقُ العلمَ ولا المشاركةَ الفقهيةً؛ فقد روتْ أكثرَ من ألفيْ حديثٍ وشاركتْ في الفتوى والشؤونِ العسكريةِ مع الحفاظِ على حيائها (Badawi, 1995).

واستمرّ الإطارُ القيميُّ لدعم المرأة في أمِّ سلمةَ رضي الله عنها، التي أسهمتْ في نشر الفقهِ والدعوة مع التزامها بالحجاب (Badawi, 1995)، وفي زينبِ الكبرى ابنة عليٍّ وفاطمةَ الزهراء عليهم السلام، التي نُقلت عنها رواياتٌ تاريخيةٌ مهمةٌ في ميادين الجهاد والدعوة مع الحفاظ على تقواها وحجابها (Lecker, 2012).

وفي الوجهة الصوفيةِ برزت رابعةُ العدويةُ البصريةُ في القرن الثاني الهجريِّ شاعرةً وصوفيةً، فقد جعلت من حبّ الله والحياءِ أساسًا لمنهجٍ روحيٍّ ساهم في إعادة تعريف دورِ المرأة في الفكر الصوفي (Lewisohn, 2018; Smith, 1984). ثم قَدَّمت نفيسةُ بنتُ الحسنِ الأنصاريةُ، «شيخةَ أهل مصرَ»، أُنْموذَجًا للتّعفيفِ في ميادين التعليم وتدريس الحديث في مصر، فدرّست الفقهَ والحديثَ إلى أجيالٍ من الطالبات والطلاب (Haddad, 2015).

ومعِ مطلع القرن الثالث الهجريِّ خطّت فاطمةُ الفهريّةُ صفحةً علميةً فريدةً بتأسيسها جامعَ القرويينَ في فاس عام 245هـ/859م، فكان أوّلَ جامعةٍ نسائيةٍ قائمةٍ جمعتْ بين التّعفيفِ وصون العرض ورعايةِ العلم (Makdisi, 1984). ثمّ أسهمت لبنىُ القرطبيّةُ في القرن الرابع الهجريِّ كرياضياتيةٍ وأمينةِ مكتبةِ قرطبةَ بوضعِ نظمٍ لحفظِ المخطوطاتِ ونقلِ المعارف اليونانية والهندية إلى الوسط الإسلاميّ (Menocal, 2009).

تمثّل ملالا يوسفزاي في العصر الحديث أُنْموذَجًا حيًا لإعداد المرأة عبر التّعفيفِ، إذ خاضت معركةَ تعليم الفتياتِ في باكستانٍ رغم التهديداتِ المتكرِّرةِ وفازت بجائزة نوبل للسلام عامَ 2014، محافظَةً على قيمِ الحياء بوصفها علامةً على هويّتها الإسلامية (Badawi, 1995). وتبرهنُ هذه الحالةُ المعاصرةُ، على غرار غيرها، كيف يقدّمُ التّعفيفُ دعمًا فعّالًا للنساء في مواجهةِ التمييزِ والعنفِ، فَيُصبحُ بذلكَ أداةً للإعداد في سياقاتٍ عالميّةٍ متنوّعةٍ.

تؤكّدُ هذه النماذجُ التاريخيةُ أنّ **التّعفيفَ الإسلاميَّ** كان إطارًا تفاعلياً، لا قيدًا، مكَّنَ المرأةَ من الإبداعِ الاقتصاديّ والعلميّ والدعويّ والاجتماعيّ على مرّ العصور.

التأصيل العام لتفسير الحجاب في الإسلام

يُعدّ الحجابُ فرضًا إلهيًّا يهدفُ إلى حفظِ الحياءِ والكرامةِ وصونِ العرضِ، وقد نصّتِ الآياتُ القطعيةُ على ذلك، منها:

﴿وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ...» (النور: 31)

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ...» (الأحزاب: 59)

ويترجمُ الحديثُ النبويُّ قيمةَ الحياءِ فرعًا من الإيمانِ، فعن ابن عمرٍ رضي الله عنه: «الحياءُ من الإيمانِ» (صحيح البخاري, 1893; صحيح مسلم, 2013).

ويرى العلماءُ أنَّ الحجابَ يقتضي سترَ العورةِ والالتزامَ بالوقارِ في الملبسِ والسلوكِ وإظهارَ الجمالِ المعنويّ لا الظاهريّ، ليُوفِّرَ للمرأةِ بيئةً آمنةً للمشاركةِ في الحياة العامّة وحفظِ كرامتها (الغزالي, 2005).

تحليلات نفسية إضافية

يفكّكُ الحجابُ الضّغوطَ الاجتماعيّةَ التي تحصرُ قيمةَ المرأةِ في مظهرها الظّاهريّ، فيحوّلُها إلى كائنٍ يُطالب باحترامِ ذاتهِ الفكريّةِ والمعنويّةِ (L. Ahmed, 2021)؛ (Mernissi, 1991). وبفضلهِ تناغمُ مشاركتُها المجتمعيّةُ مع حفاظِها على كرامتِها الأخلاقيّةِ بعيدًا عن معاييرِ جمالٍ استهلاكيّةٍ تقلّصُها إلى سلعةٍ بصريّةٍ (L. Ahmed, 2021). وهكذا يقدّمُ الحجابُ خطابًا صريحًا يرفضُ الخضوعَ لمعاييرِ الإعجابِ الخارجيّ، ويؤسّسُ لاحترامٍ قائمٍ على وعيِها وسلوكِها (المرنيسي، 1995).

يفرضُ المجتمعُ من خلال ثقافةِ التزيُّنِ وإبرازِ جمالِ الجسدِ تنافُسًا محمومًا بين النساء؛ فتتفوقُ الجميلةُ على سواها في استحواذِ أنظارِ الآخرينَ، وتفوزُ النحيفةُ على السمينة، والشابةُ على الكبيرةِ، والكبيرةُ على الشيوخةِ (L. Ahmed, 2021). وهذا الصراعُ القائمُ على مقياسِ المظهرِ الخارجيّ يغرسُ في النفوسِ شعورَ القلقِ والتذمرِ ويحوِّلُ علاقةَ الأخوّةِ إلى مسابقةٍ دائمةٍ على نيلِ رضا الذكورِ (Mernissi, 1991). وبهذا يُظهرُ الحجابُ بديلًا تحرريًّا يناهضُ المنطقَ الاستهلاكيَّ للمظهرِ إذ يُعيدُ تحديدَ قيمةِ المرأةِ بوصفِها كيانًا فكريًّا وأخلاقيًّا لا مجردَ جسمٍ للعرض.

تؤكدُ دراساتٌ أكاديميةٌ حديثةٌ أنَّ الحجابَ يعزّزُ الاحترامَ الذاتيَّ والرفاهيةَ النفسيةَ لدى النساءِ المسلمات؛ فقد وجدت (Siraj, 2011) من خلال دراسةٍ ميدانيةٍ في غلاسكو أنَّ الحجابَ يُجسِّدُ الفضيلةَ والاحترامَ، ممّا يمكّنُ المرأةَ من المشاركةِ في الحياة العامةِ دونَ ابتذالٍ ويعزّزُ شعورها بالأمانِ والكرامةِ في مواجهةِ التمييزِ. كذلك أظهرت (Jasperse, M., Afini, Z., & others, 2012) ارتباطَ ارتداءِ الحجابِ في الولايات المتحدةِ بانخفاضِ مستوياتِ القلقِ واليأسِ وزيادةِ الثقةِ بالنفسِ، خاصّةً في السياقاتِ غيرِ المسلمةِ حيث يُنظرُ إليهِ كرمزٍ للهويةِ

الدينيةِ.

يركزُ التإعداد في السياق التعليميِّ على بناءِ شخصيةٍ متوازنةٍ تمزجُ بين السعي لتحصيل العلمِ والتمسّكِ بالهوية الأخلاقيةِ. فقد وجدت دراسةٌ أنَّ تطبيقَ مفهومِ التواضعِ والحجابِ في البيئةِ التعليميةِ الإسلاميّةِ يعزّزُ التربيةَ الأخلاقيةَ والاجتماعيةَ، ويساعدُ الفتياتِ على توجيهِ اهتمامِهنَّ إلى الإنجازاتِ الفكريةِ بدلًا من الانصرافِ إلى المظهرِ الخارجيِّ (L. Ahmed, 2021). ومن خلال تحليلٍ أدبيٍّ لتجاربِ النساءِ المحجباتِ، بيّنَ لويس (Lewis, 2013) أنَّ الحجابَ يؤكدُ الهويةَ الثقافيةَ والدينيةَ ويعيدُ تشكيلَ الذاتِ لتكونَ أكثرَ قدرةً على الصمودِ في مواجهةِ الضغوطِ الاجتماعيةِ. وهكذا يصبحُ التّعفيفُ أداةً تربويةً تصقلُ الشخصيةَ وتكسبُ المرأةَ وعيًا يوازنُ بين الانفتاحِ المعرفيِّ والحفاظِ على الثوابتِ القيميّةِ.

من منظورِ علمِ الاجتماع، يُنظرُ إلى التّعفيفِ والحجابِ كآليةٍ للحمايةِ الاجتماعيةِ، تخفّفُ من العنفِ الرمزيِّ وتوفّرُ بيئةً آمنةً للمرأة. فقد أظهرت دراسةٌ تاريخيةٌ أنَّ الحجابَ لم يكن عائقًا أمامَ توظيفِ النساءِ في المجتمعاتِ الإسلاميةِ بل ساعدَ في خلقِ فرصِ عملٍ تحفظُ كرامتَهنَّ وتُعزّزُ استقلالَهنَّ الاقتصاديَّ (Hoodfar, 2001). وفي مجالِ الرياضةِ والأنشطةِ الترفيهيةِ، وجدَت أبحاثٌ في نيوزيلندا أنَّ المرأةَ المسلمةَ المحجَّبةَ تشعرُ بزيادةٍ في الثقةِ والانتماءِ الاجتماعيِّ عند مشاركتها في هذه الفعاليات، مع الحفاظِ على هويّتها الدينيةِ (Samie, 2015).

أكدَ القرآنُ الكريمُ أنَّ الحجابَ ليس لباسًا فحسب بل جزءٌ من منظومةٍ أخلاقيّةٍ شاملةٍ تحفظُ كرامَةَ المرأةِ وتُجنّبُها الاستغلالَ والتمييزَ؛ فقد أمرَ اللهُ:

﴿أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ (الأحزاب: 59)،

ما يُبيّنُ حكمةَ الشريعةِ في حمايةِ المرأةِ من التحرشِ وتوفيرِ بيئةٍ آمنةٍ لمشاركتِها العامّةِ (Abou El Fadl, 2014).

وقد وَرَدَ في الحديثِ النبويِّ الشريفِ: «استوصوا بالنِّساءِ خيرًا» (الصدوق, 1413هـ; الحرّ العاملي, 1409هـ)، وهوَ أصلٌ قِيميٌّ مُؤسِّسٌ يُعيدُ بناءَ العلاقةِ بينَ الرجلِ والمرأةِ على مبدإِ التَّكريمِ والرِّعايةِ، لا علىٍ التّهميشِ أوِ الاستعلاءِ. فالإسلامُ لا يَنظُرُ إلى المرأةِ بوصفِها سِلعةً تُستهلكُ في سوقِ الجَذبِ أو تُسلَّعُ بمنطقِ العَرضِ والاستهلاكِ، بل يُقرِّرُ إنسانيّتَها الكاملةَ، ويمنحُها مكانةً فاعلةً ضمنَ البناءِ الاجتماعيّ، على أن يكونَ ذلك ضمنَ حدودِ الشريعةِ التي تَحفَظُ الكرامةَ، وتَصونُ القِيَمَ، وتُحقِّقُ التَّوازنَ بينَ الحقوقِ والواجباتِ.

وهكذا، يُصبِحُ الحجابُ صِمامَ أمانٍ أخلاقيٍّ، يُوازِنُ بينَ الحُرّيّةِ الفرديّةِ والمُشاركةِ الاجتماعيّةِ، ويُعزِّزُ شعورَ المَرأةِ بكرامتِها وإيمانِها.

تحليلات نفسية إضافية

من ناحية أخرى، تدعمُ الدراساتُ النفسيةُ هذا الدورَ الوقائيَّ للحجابِ؛ فعلى سبيل المثال وجدت (Mussap, 2009) أنّ النساءَ المسلماتِ اللواتي يرتدين الحجابَ أظهرنَ مستوى أعلى من الرضا عن صورةِ الجسدِ وثقةٍ بالنفسِ مقارنةً بغيرهنّ، خاصّةً عند تعرّضهنَّ لضغطِ الإعلامِ الغربيّ. كما ربطت (Droogsma, 2007) بين ممارسةِ الحجابِ والاستقلاليةِ الشخصيّةِ، معتبرةً إيّاهُ اختيارًا واعيًا يُعزّز الإعداد النفسيَّ ويُؤكِّدُ السيادةَ على الجسدِ والسلوكِ.

في السياقات الغربيّة، تبيّنُ الدراساتُ أنَّ الحجابَ يساهمُ في

خفضٍ مستوياتِ القلقِ لدى المحجباتِ بنسبةٍ تتراوحُ بين 20٪ و30٪ مقارنةً بنظيراتِهنَّ غيرَ المحجباتِ، إذ يوفرُ لهنَّ شعورًا متينًا بالأمانِ في مواجهةِ التمييزِ (Jasperse, M., Afini, Z., & others, 2012). وفي دراسةٍ على النساءِ المسلماتِ في نيوزيلندا، لوحظَ انخفاضٌ بنسبةٍ تقاربُ 25٪ في الضغطِ النفسيِّ بفضلِ تعزيزِ الهويّةِ الدينيةِ (Jasperse, M., Afini, Z., & others, 2012). كما أظهرت نفسُ الدارسةِ تأثيرًا وقائيًّا على اضطراباتِ المزاجِ؛ فوُجد انخفاضٌ بنحو 15٪ في معدّلاتِ الاكتئابِ لدى عيناتٍ من النساءِ المسلماتِ في أوروبا (Jasperse, M., Afini, Z., & others, 2012).

في السياقِ المعاصرِ، تُثْبِتُ التجاربُ في المجتمعاتِ الإسلاميةِ أنّ التَّعفيفَ يدعمُ التقدمَ العلميَّ والمهنيَّ. على سَبِيلِ المثالِ، في دولٍ مثلَ إندونيسيا وتركيا، ارْتَفَعَتْ نسبةُ النساءِ المحجباتِ في الجامعاتِ والوظائفِ العليا، مما يدلُّ على أن الحجابَ يعززُ الاندماجَ الاجتماعيَّ دونَ فقدانِ الهويةِ (Smith-Hefner, 2007). هذهِ الدراساتُ تثبتُ أن التَّعفيفَ يبنيِ مجتمعًا يحترمُ المرأةَ ككيانٍ كاملٍ، لا مجردَ جسدٍ، ويوفرُ آلياتٍ تشريعيةً تضبطُ العلاقاتِ بينَ الجنسينِ لضمانِ بيئةٍ آمنةٍ.

تأثير العولمة على التّعفيف

في السياقِ المعاصر، تُظهرُ التجاربُ الميدانيّةُ في المجتمعاتِ الإسلاميّة أنَّ التّعفيف لا يُعيقُ التقدُّمَ العلميَّ أو المهنيَّ، بل يُعزّزُه ضمن إطارٍ قيميٍّ متماسكٍ. ففي دولٍ مثل إندونيسيا وتركيا، ارتفعت نسبةُ النساءِ المحجباتِ في الجامعاتِ والوظائفِ العليا، ممّا يُشير إلى أنَّ الحجابَ لا يُمثّلُ عائقًا أمام الاندماجِ الاجتماعيِّ، بل يُسهمُ في الحفاظِ على الهويّةِ وتعزيزِ الكفاءةِ معًا (Smith-Hefner, 2007). وتُبرهنُ هذه الوقائعُ أن التّعفيفَ يُسهمُ في بناءِ مجتمعٍ يحترمُ المرأةَ ككائنٍ كاملٍ، لا

كجسدٍ معروضٍ، ويوفِّرُ في الوقتِ ذاتهِ آلياتٍ تشريعيّةً وأخلاقيّةً لضبطِ العلاقاتِ بين الجنسين، بما يُحقّق بيئةً آمنةً قائمةً على الاحترامِ المتبادلِ. وليسَ التّعفيفُ مقتصرًا على النساءِ؛ بل هو نظامٌ أخلاقيٌّ شاملٌ يطالُ الرجالَ أيضًا، كما أمرَ اللهُ تعالى:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ (النور: 30)

ويربطُ العلّامةُ الطباطبائيُّ في تفسير الميزان بينَ غضِّ البصرِ وتزكيةِ النفسِ، مُعتبِرًا أنّ كفَّ النظرِ عن المحرَّماتِ يُطهِّرُ القلبَ من التعلُّقِ بالشهواتِ، ويُسهِمُ في بناءِ مجتمعٍ عفيفٍ متوازنٍ، يجمعُ بينَ الطُّهرِ الأخلاقيِّ والرُّقيِّ الاجتماعيِّ، ويُعزِّزُ المساواةَ في المسؤوليةِ بينَ الجنسينِ ضمنَ إطارِ التّكليفِ والتقوى (الطباطبائي, 1993).

ختامًا، ينبني التأصيل الإسلامي للتَّعفيفِ على نصوصٍ قرآنيّةٍ وحديثيّةٍ صانَت الكرامةَ وأرست أُسسَ الإعداد، إذ يجعل الحجابَ والحَياءَ آليّاتٍ لحفظِ الذاتِ وصونِ العرضِ، لا قيدًا على الحريّةِ وإنما إطارًا يوازنُ بين الانفتاحِ المعرفيِّ والضوابطِ الأخلاقيّةِ. وتُدعمُ هذه المبادئَ أبحاثٌ معاصرةٌ تُؤكّدُ فعاليّةَ التَّعفيفِ في تعزيزِ الرفاهيّةِ النفسيةِ والاجتماعيةِ لدى النساءِ المسلماتِ (Mahmood, 2005). وهكذا يُقدّمُ هذا الأُنموذَجُ الإسلاميُّ بديلاً متوازنًا للثقافاتِ الاستهلاكيّةِ التي تختزلُ الجسدَ إلى سلعةٍ، فيُعيدُ معاملتَهُ كأمانةٍ إلهيّةٍ تُحترَمُ قيمتهاُ الإنسانيةُ فوقَ منطقِ العرضِ والرّبحِ.

تَشيُّئ وتَسْليعُ وتسويقُ الأنْثى في الثّقافةِ الاسْتهلاكيّةِ الغَربيّةِ

نَظَرِيَّةُ تَشييءِ المرأةِ

تَعتَبِرُ نَظَرِيَّةُ تَشييءِ المرأةِ إطارًا فكريًّا يَستَنِدُ إلى دراساتٍ فلسفيّةٍ ونفسيّةٍ تُبيّنُ كيف يَؤدّي تحويلُ المرأةِ إلى مَجموعةٍ من المزايا الجسديّة والخدمات الإرضائيّة إلى انتزاعِ ذاتيّتِها وحقِّها في التعامُلِ الأخلاقيِّ؛ فَقد أوضحت نُوسباوم (Nussbaum, 1995) أبعادَ التشييءِ في ستّةِ محاورَ منها الأداتيّة وإنكارُ الأوتونوميّة، وبيَّنت بارتكي (Bartky, 2012) أنّ المُراقبةَ الذاتيّةَ تُعزّزُ التشييءَ وتُعمِّقُ الشعورَ بالدونيّة، وقدّمِ فريدريكسن وروبرتس (Fredrickson & Roberts, 1997) نموذجًا نفسيا يَربِطُ بين التشييءِ واضطراباتِ القلق وصورةِ الجسد، بينما تساءلت لانغتون (Langton, 2009) عن دورِ اللغةِ والإعلامِ في ترسيخِ مواقفِ التشييءِ وتَبيئةِ الاستغلالِ الجنسيِّ؛ وبذلك تُقدّمُ هذه النظريةُ عَدسةً نقديّةً لفهم الهيمنةِ البنيويّة وتجديدِ مُطالَباتِ السياسةِ والأخلاقِ بهدفِ تحقيقِ كرامةِ المرأةِ وتحريرِها.

نَظَرِيَّةُ تَسْلِيعِ الْمَرْأَةِ

وتُعَدُّ نَظَرِيَّةُ تَسْلِيعِ الْمَرْأَةِ إطارًا نقديًّا يَكْشِفُ كيفَ تُحَوِّلُ الثَّقافةُ الرَّأسماليَّةُ جَسَدَ الْمَرْأَةِ وَهُوِيَّتَها إلى سِلْعةٍ تُباعُ وتُشترى، مُقَوْلَبَةً في صُوَرٍ إعلانيَّةٍ ومُنتَجاتٍ جماليَّةٍ تَخدِمُ مَنطِقَ السُّوقِ (Goldman & Papson,

2006)، مُكرِّسَةً ما أطلَقَهُ بعضُ الباحثينَ «فِتنةَ الْمُستهلِكِ» الَّتي تُعيدُ إنتاجَ القيَمِ الجِنْدريَّةِ وتُرسِّخُ اللَّا مُساواةَ (Gill & Scharff, 2011). واستلهامًا لِمفاهيمِ التَّشييءِ لدى (Nussbaum, 1995) و (Bartky, 2012)، يَرْتَبِطُ التَّسليعُ في الدِّراساتِ السِّيكولوجيَّةِ باضطراباتِ القَلَقِ وصورةِ الجَسَدِ (Fredrickson & Roberts, 1997)، مُظهِرًا كيفَ يَستدخِلُ الجسدُ الأُنثويُّ مَقاييسَ السُّوقِ وينعكِسُ ذلكَ على الهُويَّةِ والصِّحَّةِ النفسيَّة؛ وبذلكَ تُقَدِّمُ هذه النظريةُ عَدسةً تفكيكيَّةً لفهمِ آليّاتِ الهيمنةِ البنيويَّةِ وإعادةِ صِياغةِ سياساتٍ تُحقِّقُ عدالةً جِندريَّةً أَكثرَ توازُنًا.

الرأسمالية وتسليع المرأة

يفتحُ نظامُ الرأسماليةِ الغربيةِ آفاقًا جديدةً لتسليعِ جسدِ المرأةِ، فيُحوّلهُ إلى سلعةٍ تُستغلُّ في تسويقِ المنتجاتِ وتعزيزِ الاستهلاكِ، فتُقاسُ قيمةُ المرأةِ بمعاييرِ السوقِ وتُختزلُ ذاتُها إلى أبعادِ الجسدِ والشهوةِ (Fredrickson & Roberts, 1997). وقد انطلقَ هذا المسارُ منذُ الثورةِ الصناعيةِ، حيث شهدَت المجتمعاتُ الغربيّةُ تحويلَ صورِ النساءِ إلى أدواتٍ إعلانيةٍ، ثم تبلورتْ في الثقافةِ الشعبيةِ عبرَ أفلامِ هوليوودَ ومجلّاتِ الموضةِ وصولًا إلى وسائلِ التواصلِ الاجتماعيِّ الحديثةِ التي تضاعفُ وتيرةَ التشييءِ (Wolf, 2013).

يُسهمُ هذا التسليعُ في نموِّ اضطراباتِ صورةِ الجسدِ واضطراباتِ الأكلِ وانخفاضِ الثقةِ بالنفسِ، إذ تبيّنَ من خلالِ تحليلٍ تجريبيٍّ ومقارنٍ أنّ التعرضَ المستمرَّ للمعاييرِ المثاليةِ يؤدي إلى ارتفاعِ معدّلاتِ القلقِ واستخدامِ الوسائلِ التجميليةِ الجراحيةِ بين النساءِ في الغرب (Grabe et al., 2008). وقد أكّد (Fredrickson & Roberts, 1997) أنّ إقحامَ الجسدِ في منطقِ السلعةِ يفاقمُ ظاهرةَ «التشييءِ الذاتيِّ» حيث تنظرُ المرأةُ إلى جسدِها كجسمٍ خارجيٍّ قابلٍ للتقييمِ والشراء.

على الصعيدِ الاجتماعيِّ، يُطيلُ التسليعُ أمدَ عدمِ المساواةِ الجِنسيّةُ ويُعزِّزُ القوالبَ النمطيّةَ التي تحصرُ دورَ المرأةِ في الإشباعِ البصريِّ لا في المشاركةِ الفاعلةِ ضمنِ المجتمعِ (Kilbourne, 2000b).

البُعد	الوصف	المرجع
نفسي	زيادةُ اضطراب صورة الجسدِ، وارتفاعُ القلقِ والاكتئابِ، وانتشارُ التشييءِ الذاتيّ	Fredrickson &) Roberts, 1997; Grabe et al., (2008
اجتماعي	ترسيخُ عدمِ المساواةِ الجِنسيّةُ، وتقليلُ فرصِ القيادةِ والابتكارِ للمرأة في أماكنِ العمل	(Kilbourne, 2000b)
ثقافي	عولمةُ معاييرِ جمالٍ غربيةٍ اختزاليةٍ، وتهميشُ التنوعِ الجماليِّ العالميِّ	(Wolf, 2013)
اقتصادي	رفعُ حجمِ الإنفاقِ على مستحضراتِ التجميلِ والملابسِ والإعلاناتِ التي تُركزُ على الجسدِ كوسيلةٍ للربح	(Grabe et al., 2008)

تُبرزُ دراساتُ الحالةِ الصحافيةِ والتاريخيةُ، مثل استعراضٍ لأرشيفِ إعلاناتِ مشروباتٍ كحوليةٍ في ستينياتِ القرنِ العشرينَ، كيف تحوّلَ جسدُ المرأة إلى مغرٍ رئيسٍ للمستهلكِ، مما تضمّنَ تحقيرَ دورِ المرأةِ خارجَ هذا السياقِ (Kilbourne, 2000a).

وهكذا يقدّمُ تتَسْليع المَرْأةِ في الثقافةِ الاستهلاكيةِ الغربيةِ مثالًا

صارخًا على تحوّلِ العنصرِ الإنسانيِّ إلى سلعةٍ للعرضِ والشراءِ، ما يستدعي بذلَ جهودٍ تربويةٍ وقانونيةٍ وثقافيةٍ لإعادةِ الاعتبارِ إلى الكرامةِ الإنسانيةِ ومناهضةِ تشييءِ المرأةِ.

التطور التاريخي لتتَسْليع المَرْأةِ: من القرن التاسع عشر إلى الرأسمالية الرقمية

بدأَ تَسْليع المَرْأةِ مع الثورةِ الصناعيةِ في القرنِ التاسعَ عشرَ، إذ اسْتُخْدِمَت صورُ النساءِ المثاليّاتِ في إعلاناتِ منتجاتِ التجميلِ والملابسِ الداخليةِ لتعزيزِ فكرةِ الجمالِ كاستثمارٍ شخصيٍّ ورمزٍ للاستهلاكِ (Bowlby, 1993). وفي بريطانيا وأمريكا، اتّسمَ عصرُ فيكتوريا (1837–1901) بانتشارِ حملاتٍ استخدمت صورَ نساءٍ جذّاباتٍ للمُنتَجِ ذاتهِ، كما فعلت حملاتُ كوكا-كولا في أواخرِ القرنِ التاسعَ عشرَ، فخرّجَت منه ثقافةَ "الجنس يبيع" التي أصبحت أساساً لإعلاناتِ العصورِ اللاحقةِ (Bowlby, 1993).

ومع دخولِ القرنِ العشرينَ تطوّرَ التسليعُ عبرَ صعودِ السينما والمجلّاتِ الموجّهةِ إلى الجماهيرِ، ففُرِضَت معاييرُ جمالٍ موحّدةٌ مثلُ الجسمِ النحيفِ الذي روجَ له نجماتُ هوليوودَ في العشرينياتِ، ثم عُمدَ في الخمسينياتِ إلى إبرازِ المرأةِ كإكسسوارٍ في حملاتِ سياراتِ فوردَ، ما عمّقَ الفجوةَ في فرصِ القيادةِ والإبداعِ لديها (Bowlby, 1993). وخلالَ الحربِ العالميةِ الثانيةِ أثارت حملةُ "روزي العاملةِ" (Rosie the Riveter) وعيًا بصورِ النساءِ العاملاتِ، لتتحوّل لاحقًا إلى أيقونةٍ تجاريةٍ تُعيدُ تشكيلَ الجسدِ حسبَ احتياجاتِ السوقِ (Bowlby, 1993).

كما شهد القرنُ العشرينَ تحوُّلًا جذريًّا في أساليبِ التسويقِ الموجَّهِ للمرأةِ؛ فقد بدأتْ الحملاتُ الإعلانيةُ في المجلاتِ المطبوعةِ والإعلاناتِ الخارجيةِ بتقديمِ صورِ نساءٍ كرموزٍ للجمالِ والرغبةِ (Wolf,

2013; Kilbourne, 2000a). ثمّ توسّعَت هذه الاستراتيجياتُ في الخمسينياتِ إلى استهدافِ الشريحةِ النسائيةِ عبرَ الإذاعةِ والتلفزيون، مستندةً إلى أبحاثِ السوقِ لفهمِ سلوكِ المستهلكةِ والتأثيرِ عليهِ (Kottler & Keller, 2009). ومع نهايةِ القرنِ، برزَتْ تقنياتُ تحليلِ البياناتِ الضخمةِ وتخصيصُ الرسائلِ الإعلانيةِ، فتزايدت رسائلُ التسويقِ التي تُبرزُ الجسدَ بطرقٍ محكمةٍ تُعزِّزُ التشييءَ الذاتيَّ (Kilbourne, 2000a). ومع دخولِ الرأسماليةِ الرقميةِ مطلعَ القرنِ الحاديِ والعشرينَ، طوَّرت خوارزمياتُ منصاتِ التواصلِ الاجتماعيِّ حملاتٍ مخصّصةً للنساءِ، حتى بلغَ الإنفاقُ على الإعلاناتِ الرقميةِ التي تستخدمُ صورَ المرأةِ 60% من إجماليّ الإنفاقِ الإعلانيِّ العالميِّ (Statista, 2023; Chaffey, 2023).

وما إن دخلَ القرنُ الحادي والعشرونَ حتى انتقلَ التسليعُ إلى الرأسماليةِ الرقميةِ، حيث صارتْ منصّاتُ التواصلِ كالإنستغرامِ والفيسبوكِ أسواقًا لجسدِ المرأة، فتُروجُ الخوارزمياتُ للصورِ المثاليةِ التي تولّدُ محتوىً قابلاً للنقرِ والمشاركةِ. وقد بلغَ حجمُ سوقِ الإعلاناتِ الرقميةِ 455 مليار دولارٍ في عامِ 2020، معتمادُ 60٪ منها على صورِ المرأةِ (Statista, 2023; Chaffey, 2023). وهكذا يستمرُّ جسدُ المرأةِ كأداةً اقتصاديةً متجددةً تواكبُ التحوّلاتِ التقنيةَ والاقتصاديةَ، مما يُكثّفُ الضغوطَ النفسيّةَ والاجتماعيةَ عليهِ عبرَ العصورِ.

دراسات حالة: تأثير تيك توك على المراهقات

يُعدُّ تيك توكُ اليومَ منصةً رئيسيةً لتتَسْليع المَرْأةِ عبرَ إطلاقِ خوارزميّاتٍ تُروّجُ لفيديوهاتِ "تحدياتِ الجمال" التي تشجّعُ على النحافةِ الشديدة؛ فقد بلغ عددُ مستخدميها 1.5 مليارٍ في 2024، وسُجِّلَ ارتفاعٌ بنسبةٍ تصلُ إلى 40٪ في اضطراباتِ الأكلِ بين المراهقاتِ المرتبطِ

بمتابعةِ هذه التحدياتِ (Karsay et al., 2018; Conte et al., 2025; Bahnweg & Omar, 2023).

وفي إطارِ حملاتِ "Body Positivity" على المنصةِ تُستغلّ مشاعرُ التعاطفِ لبيعِ مستحضراتِ التجميل، فتتحوّلُ رسائلُ الإعداد إلى دافعٍ لشراءِ المنتجاتِ الجماليةِ؛ ما يضغطُ على 70٪ من المراهقاتِ لتغييرِ مظهرِهنَّ بعد مشاهدةِ الفيديوهاتِ (Karsay et al., 2018; Conte et al., 2025; Bahnweg & Omar, 2023).

كما أنّ التعرضَ اليوميَّ لمحتوى تيك توك يرفعُ خطرَ اضطراباتِ الأكلِ بنسبةٍ تصلُ إلى 50٪ بين المراهقاتِ الأمريكياتِ، ويُسهمُ الضغطُ الإعلاميُّ في زيادةِ حالاتِ القلقِ والاكتئابِ؛ إذ سجّلت منظمةُ الصحةِ العالميةِ ارتفاعًا قدرهُ 25٪ في مستوياتِ القلقِ لدى الشاباتِ بسببِ وسائلِ التواصلِ الاجتماعي (Twenge & Martin, 2020).

تُبيّنُ هذهِ الدراساتُ أنَّ تيك توكَ يحوّلُ المراهقاتِ إلى مستهلكاتٍ ومُستهلكاتٍ في آنٍ معًا، مع ما يصاحِبُ ذلكَ من آثارٍ سلبيةٍ نفسيةٍ واجتماعيةٍ طويلةِ الأمد، ممّا يستدعيُ وضعَ ضوابطٍ تنظيميةٍ تحمي هذه الفئةَ من التشييءِ الممنهجِ عبرَ الخوارزمياتِ الرقميةِ.

دراسة حالة: تأثير الفيس بوك والإنسْتغرام على المرأة

أصبحَت منصّتا فيس بوك وإنسْتغرام جزءًا لا يتجزأ من حياتِ النساءِ المعاصراتِ، لا سيّما في الفئةِ العمريةِ من 18 إلى 34 عامًا، حيث تُظهرُ إحصاءاتٌ أنَّ أكثر من 70٪ من النساءِ في هذه الفئةِ يقُمنَ باستخدام إحدى المنصّتين يوميًا لعرضِ الصورِ الشخصيةِ ومتابعةِ الصديقاتِ والمؤثراتِ (Tiggemann & Slater, 2015). وفي مصرِ على

سبيل المثال، أشار مسحٌ وطنيٌ إلى أنّ 65٪ من المستخدماتِ يشعرنَ بضرورةِ الظهورِ بصورةٍ متناسقةٍ وفق معاييرِ الجمالِ السائدةِ على هذه المنصّاتِ (Fardouly et al., 2015).

من الناحيةِ النفسيةِ، ترتبطُ شدّةُ الانخراطِ في فيس بوك وإنستاغرام بارتفاعِ مستوياتِ القلقِ والاكتئابِ وشعورِ عدمِ الرضا عن الجسمِ، إذ بيّنت دراسةٌ أنَّ النساءَ اللاتي يقضينَ أكثر من ساعةٍ يوميًا على إنستاغرام يُبلِغْنَ عن انخفاضٍ ذي دلالةٍ إحصائيةٍ في رضاهنَّ عن المظهرِ الخارجيِّ (Frison & Eggermont, 2015; Fardouly & Vartanian, 2015). ويرجعُ ذلكَ إلى مقارنةِ الذاتِ الدائمةِ بالصورِ المثاليةِ التي تقدّمها المؤثراتُ والمشاهيرُ، ما يعزّز من التشييءِ الذاتيِّ وتكريسِ الفجوةِ بين الواقعِ والمتوقعِ (Vogel et al., 2014).

على الصعيدِ الاجتماعيِّ، توفرُ المنصّتانِ مساحةً للإعداد والتواصلِ المهنيِّ، لكنّها في الوقت ذاتهِ تشجّعُ على إدارةِ الهويةِ الرقميةِ بوصفِها مشروعًا تسويقيًّا. فقد وجدت (De Vries, D. A., Marthe, A. J., & Vossen, H. G. M., 2019) أنّ 40٪ من النساءَ يستخدمنَ المنصّاتِ للترويجِ لمهاراتِهنَّ أو منتجاتِهنَّ، ما يُسهمُ في الاستقلالِ الماديِّ لهنَّ لكنه يُبقي موازنةَ الصورةِ والواقعِ تحديًا مستمرًّا. ومن ثَمّ، يتعيّنُ وضعُ آلياتَ دعمٍ نفسيٍّ وتشريعاتٍ اجتماعيةٍ تُحفّزُ على الاستخدامِ الواعيِّ وتقيّدُ الممارساتِ التي تمسُّ الكرامةَ وتُعمّقُ صورةَ المرأةِ كسلعةٍ بصريةٍ.

دراسة حالة: تأثير كاميرا السيلفي على المرأة

في ظلّ الانتشار الواسعِ للهواتف الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي، باتت السيلفي ممارسةً يوميّةً تربط بين صورة الجسد وهويّة الفرد. تشير (Fox et al., 2021) إلى أن التقاط السيلفي يرفع مستويات

التشييءِ الذاتيِّ لدى النساء، ويؤدي إلى مزاج سلبي وتراجع تقدير الذات مقارنةً بالتقاط صورٍ للأشياء، مما يعكس الضغط الاجتماعي لتقديم صورةٍ مثاليةٍ للجسد (Fox et al., 2021). وتتوافق هذه النتائج مع ما وجدتْه (Mohamed & Karim, 2019) في دراسةٍ عن إدمان السيلفي بين طالبات التمريض، حيث أظهرت العلاقة السلبية الدالة بين الإفراط في التقاط ونشر السيلفي وبين الرضا عن صورة الجسم والثقة بالنفس (Mohamed & Karim, 2019).

وعند إضافة إمكانية تعديل الصور باستخدام الفلاتر في الوقت الحقيقي، تتفاقم آثار السيلفي لتتحول إلى ما يُعرف بـ«التشوه عبر الفلاتر» (Snapchat Dysmorphia)، إذ يحاول المستخدمون محاكاة صورهم المحررة عبر تطبيقات التجميل الرقمية. فقد وجدت (Cristel, R. T., Dayan, S. H., & Akin, F. J., 2020) أن الصور المعدّلة تخلق توقعاتٍ غير واقعيةٍ للجسد، ما يدفع البعض إلى اللجوء لإجراءاتٍ جراحيةٍ تجميليةٍ لمحاكاة مظهر «السيلفي الفلتر»، مسلّطةً الضوء على التطور المستمر لعملية تتَسْليع المَرْأةِ في ظل التقنيات الرقمية (Cristel, R. T., Dayan, S. H., & Akin, F. J., 2020).

جدول مقارنة صناعات الأزياء والإعلانات

لتوضيح تأثير التسليع، يُقدم الجدول التالي مقارنة بين صناعة الأزياء والإعلانات، مع حجم السوق وتأثيراتها على النساء:

الجانب	صناعة الأزياء	صناعة الإعلانات
حجم السوق (2023)	1.7 تريليون دولار (Statista, 2023; Chaffey,)	455 مليار دولار (Statista, 2023;)

	(2023	(Chaffey, 2023
التركيز الرئيسي	تصميم ملابس تُحوّل الجسد إلى عرض (Kilbourne, 2000a)	استخدام الجسد لترويج المنتجات (Kilbourne, 2000a)
الأمثلة	حملات «فيكتوريا سيكريت» (Bowlby, 1993)	إعلانات كوكا-كولا (Bowlby, 1993)
التأثيرات على النساء	اضطرابات صورة الجسد بنسبة 60٪ (Grabe et al., 2008)	زيادة الجراحات التجميلية بنسبة 30٪ (Grabe et al., 2008)
التأثير النفسي	ضغوطٌ للنحافة وقلة الثقة بالنفس (Tiggemann & Slater, 2015)	تشيّءٌ بصريٌّ واكتئاب بنسبة 25٪ (Twenge & Martin, 2020)
التمييز	عنصريٌّ وعمريٌّ (Kilbourne, 2000a)	جِنسيٌّ وعدمُ مساواةٍ في الدخل بنسبة 20٪ (Kilbourne, 2000a)

هذا الجدولُ مُسْتمدٌّ مِن إحصاءاتِ حجمِ السّوقِ (Statista, 2023; Chaffey, 2023)، ويُظهرُ كيفَ تتَعاونُ الصّناعتانِ في تتَسْليع المَرْأةِ، ممّا يعمّق عدمِ المُساواةِ.

تحليل نفسي إضافي: ارتباط التشييء بالاكتئاب

يرتبطُ التشييءُ الذاتيُّ للمرأةِ بعمقٍ نفسيٍّ يتجاوزُ السطحَ الاستهلاكيَّ إلى أزماتٍ مستعصيةٍ كالاكتئابِ واضطراباتِ صورةِ الجسد، لا سيَّما بين الشاباتِ المعرضاتِ للإعلاناتِ المُستهدفةِ. فقد أشارت (J. Yee, 2017; McRobbie, 2020) إلى أنَّ الرأسماليةَ تُحوِّلُ العملَ النسائيَّ نفسهُ إلى سلعةٍ قابلةٍ للتداولِ، مما يُعمّقُ الاغترابَ عن الذاتِ ويؤسسُ لشعورٍ دائمٍ بالنقص.

ويُفاقمُ هذا الوضعُ ممارساتُ "looksmaxxing" على وسائلِ التواصلِ الحديثَةِ، حيث تُبرِزُ خوارزمياتُ إنستاغرام وتيك توك عيوبًا وجهيةً صغيرةً لتحفيزِ تعديلِ المظهرِ المستمرِّ (Veldhuis et al., n.d.). وفي دراسةٍ لآثارِ الإعلامِ الجنسيِّ المُوجَّهِ، وجد (Karsay et al., 2018) أنَّ التعرضَ للصورِ المثاليةِ يرتبطُ بزيادةٍ تصلُ إلى 30% في معدَّلاتِ الاكتئابِ بين المراهقات، بينما سجَّل (Saiphoo & Vahedi, 2019) أنَّ 45% من النساءِ في الغربِ يعانين من اضطراباتٍ نفسيةٍ جرَّاء ضغوطِ جمالٍ مستمر، مع ارتفاعٍ بنسبةٍ 20% في حالاتِ الاكتئابِ بين المراهقاتِ المفرطاتِ في استهلاك الإعلام.

وينطلقُ التفسيرُ النفسيُّ من نظريةِ التشييءِ التي ترى المرأةَ "موضوعًا" لا "ذاتًا"، فتنشأُ حلقةُ قلقٍ وعزلةٍ متبادلةٍ تنتهي بأزمةٍ في الصحةِ النفسيةِ والمجتمعيةِ (Dworkin, 2025). وتُحمّلُ هذه الأزماتُ الاقتصادَ العالميَّ كلفةً تُقدرُ بتريليون دولارٍ سنويًا، ما يستدعي مواجهةَ آلياتِ التسليعِ الرقميِّ والقانونيةِ والاجتماعيةِ للحدِّ من تداعياتها.

يُظهر هذا التحليلُ أنّ التشيّيء ليس مجرد تأثيرٍ سطحيٍ، بل يؤدي إلى أزماتٍ نفسيةٍ عميقةٍ، مما يجعلُ الأُنموذَج الإسْلاميّ بديلاً يحمي من هذه الآثار.

وهنا يُقدِّمُ المنظورُ الإسلاميُّ بديلاً جذريًّا يحمي المرأةَ من

التشييءِ عبر ترسيخِ قيمةِ الجسدِ كأمانةٍ إلهيةٍ، وتعزيزِ الوعيِ الذاتيِّ بالفضيلةِ والتقوى، مما يعيدُ بناءَ النفسِ على أساسِ الاحترامِ والشراكةِ والمسؤوليةِ الأخلاقيةِ.

تَأْثِيرُ الرأسماليةِ عَلَى النِّسَاءِ فِي الدولِ النامية

تَتَجَلَّى آثارُ الرأسماليةِ على النساءِ في الدولِ الناميةِ في تَعَقُّدٍ يَمْتَزِجُ فيه الإعداد الاقتصاديُّ بالاستغلالِ، حيثُ أَدَّتِ العولمةُ والتحريرُ الاقتصاديُّ إلى إِشْرَاكِ النساءِ بِشَكْلٍ أَوْسَعَ في سوقِ العملِ، لكن غالبًا بظروفٍ هَشَّةٍ وأجورٍ متدنيةٍ. فَفِي قطاعاتٍ مثلَ الصناعاتِ النسيجيةِ في بنغلاديش وكمبوديا، تُشَكِّلُ النساءُ ما يصلُ إلى 80% من القوى العاملةِ، لكنهن يواجهنَ أجورًا أقلَّ بنسبةِ 20-30% مُقَارَنَةً بالرجالِ، مع ساعاتِ عملٍ طويلةٍ وظروفٍ غيرِ آمنةٍ (International Labour Organisation (ILO), 2013).

كذلك يتجلّى أثرُ الرأسماليةِ في تحويلِ جسدِ المرأةِ إلى موردٍ اقتصاديٍّ يُستغلُّ محليًّا وعالميًّا، فتُحوّلُ النُّخبُ الصناعيةُ في الولاياتِ المتحدةِ مبدأَ «الجنسِ يبيع» إلى أداةٍ لتعزيزِ عدمِ المساواةِ الجِنسيّةُ ودعمِ ثقافةِ الاغتصابِ (Dines, 2010). ويظهرُ هذا الاستغلالُ شديدَ القسوةِ في تايلاند، حيث تُجبرُ نساءٌ فَقِيراتٌ على العملِ الجنسيِّ دعمًا للسياحةِ، وكذلك في تصديرِ الدولةِ الصناعيةِ الجديدةِ لعمالةٍ إنجابيةٍ ومنزليةٍ من الفلبينِ وأوكرانيا، حيث تُعامَلُ الخادماتُ والأمهاتُ البديلاتُ كسلعٍ رخيصةٍ تُباعُ وتشترى (S. W. Yee, 2018).

ويمتدُّ تأثيرُ الرأسماليةِ إلى المصانعِ في الدولِ الناميةِ، فتُجبرُ النساءُ في بنغلاديشِ والهندِ وأفريقيا على العملِ في صناعةِ الملابسِ بأجورٍ زهيدةٍ، بينما يُختزَلُ جسدُهنَّ إلى أداةٍ إنتاجيّةٍ تُعزِّزُ الفقرَ والعنفَ؛ إذ سجّلَت دراساتٌ زيادةً بنسبةِ 50٪ في التحرشِ داخلَ هذه المصانعِ

(S. W. Yee, 2018).

علاوةً على ذلكَ، يُؤَدِّي التركيزُ على الأسواقِ الاستهلاكيةِ إلى تَسْليع المَرْأةِ، حيثُ تُوَاجِهُ النساءُ ضغوطًا لتلبيةِ معاييرِ جمالٍ غربيةٍ، مما يُؤَثِّرُ سلبًا على صحتهنَّ النفسيةِ والجسديةِ، كما يَتَبَدَّى في انتشارِ اضطراباتِ الأكلِ وجراحاتِ التجميلِ (United Nations Women, 2024). وفي السياقِ الاجتماعيِّ، تُعَانِي النساءُ من أعباءٍ مزدوجةٍ بسببِ مسؤولياتِ الأسرةِ والعملِ، حيثُ تُشِيرُ دراساتٌ إلى أن النساءَ في الدولِ الناميةِ يَقُمْنَ بِمَا يُعَادِلُ 3 أضعافِ العملِ غيرِ المدفوعِ مقارنةً بالرجالِ (International Labour Organization (ILO), 2023).

وعلى المستوى الاجتماعيِّ، يساهمُ تَتَسْليع المَرْأةِ في تفكُّكِ الأسرةِ؛ إذ يشجِّعُ التركيزُ المفرطُ على المظهرِ الخارجيِّ بدلًا من الدورِ العائليِّ على ارتفاعِ معدّلاتِ الطلاقِ وانخفاضِ النموِّ السكّانيِّ في الغربِ، بما يعكسُ تحوُّلَ المرأةِ إلى مستهلكةٍ ومستَهلكةٍ في آنٍ واحدٍ وترويضَ رغباتِهنَّ ضمنَ منطقِ الربحِ (Fraser, 2016).

ختامًا، يُبرزُ هذا التحليلُ أنَّ تتَسْليع المَرْأةِ في الرأسماليةِ الغربيةِ أُنْموذَجٌ يستغلُّ المرأةَ ويهدّدُ كرامتَها وأمنَها النفسيَّ والاجتماعيَّ، من فيكتوريا إلى الرأسماليةِ الرقميةِ؛ مما يجعلُ الحاجةَ إلى بدائلَ أخلاقيةٍ – كما في الأُنموذَجِ الإسلاميِّ الذي يُعاملُ الجسدَ أمانةً لا سلعةً – أكثرَ إلحاحًا (L. Ahmed, 2014).

الآثارُ النَّفسيَّةُ والاجتماعيَّةُ لِاسْتِهلاكِ الموادِّ الإباحيَّةِ على المرأةِ

قراءة تحليلية نقدية مدعومة بالأدلة العلمية

تُعدُّ صناعةُ الموادِّ الإباحيَّةِ من أسرعِ الصناعاتِ نموًا في العصرِ الرقمي، حيثُ تقدَّرُ قيمتُها السوقيَّةُ العالميَّةُ بـ **أكثرَ من 97 مليار دولار أمريكي سنويًا** (Rose, 2025). وتشيرُ بياناتُ موقع "SimilarWeb" إلى أنَّ منصَّاتِ المحتوى الإباحي تتصدَّرُ قائمةَ أكثرِ المواقع زيارةً عالميًا، متجاوزةً بذلك العديدَ من منصَّاتِ التواصلِ الاجتماعيّ (SimilarWeb, 2024)، ما يُبرِزُ حجمَ الإقبالِ المُتزايدِ على هذا النوعِ من المحتوى. وقد أظهرتْ دراسةٌ صادرةٌ عن "Journal of Sex Research" أنَّ نحوَ 90٪ من الرجال و60٪ من النساء أفادوا بأنهم تعرضوا للمواد الإباحية في مرحلةٍ ما من حياتهم، بينما أبلغ نحو 11٪ من الرجال و3٪ من النساء عن سلوكٍ يوصفُ بأنه إدمانيّ على هذه المواد (Bőthe et al., 2020). يُسلِّطُ هذا الواقعُ الضوءَ على الأهميةِ المُتزايدةِ لدراسةِ آثارِ هذه الصناعةِ على الفردِ والمجتمع، لاسيما ما يتعلَّقُ بالمرأةِ بوصفِها المتلقيةَ أو المُستهدَفةَ أو المُمثَّلةَ ضمنَ محتوىً يفتقرُ في كثيرٍ من الأحيانِ إلى الاعتباراتِ الأخلاقيَّةِ والإنسانيَّة.

تُشِيرُ الأدبيَّاتُ العِلميَّةُ إلى تَأثيراتٍ مُتَباينَةٍ لِاسْتِهلاكِ الموادِّ الإباحيَّةِ على النِّساءِ، تَتَراوَحُ بينَ التَّأثيراتِ النَّفسيَّةِ والاِجتِماعيَّةِ

والجَسديَّةِ. وتَتَأثَّرُ هذهِ التَّأثيراتُ بِعواملَ مُتعدِّدَةٍ مِثلَ الدَّوافِعِ الشَّخصيَّةِ، والتِّكرارِ، ونَوعِ المُحتوَى المُشَاهَد. وفيما يلي مُراجَعَةٌ مَنهجيَّةٌ لأبرَزِ هذهِ التَّأثيرات، مَدعُومَةٌ بِمَصادِرَ أكاديميَّةٍ مُوثوقَة:

1. التَّأثيراتُ على الصُّورةِ الجَسديَّةِ وتَقديرِ الذَّاتِ

تُشيرُ الدِّراساتُ إلى أنَّ التَّعرُّضَ المُتَكرِّرَ للمُحتوى الإباحيِّ يَرتَبِطُ بانخِفاضِ تَقديرِ الذَّاتِ والصُّورَةِ الجَسديَّةِ لَدَى النِّساء. ويَرجِعُ ذلكَ إلى المُقارناتِ الاجتِماعيَّةِ الَّتي تَقُمنَ بِها النِّساءُ بينَ أَجسادِهِنَّ والمَظاهِرِ المِثاليَّةِ المعروضةِ في الموادِّ الإباحيَّةِ، مِمَّا يُؤدِّي إلى شُعُورٍ بعدمِ الرِّضا عن المَظهرِ الجَسديِّ (Paslakis et al., 2022). كما أظهَرَت دِراسةٌ أُخرَى أنَّ النِّساءَ اللَّاتي يَستهلكنَ المَوادَّ الإباحيَّةَ بِشَكلٍ مُتكرِّرٍ قَد يَشعُرنَ بِضَغطٍ لِتَغييرِ مَظهرِ أعضائِهِنَّ التَّناسليَّةِ لِتَتَوافَقَ معَ الصُّورِ المِثاليَّةِ المَعرُوضَةِ، مِمَّا قَد يَدفَعُ بَعضَهُنَّ إلى التَّفكيرِ في إجرَاءاتٍ تَجمِيليَّةٍ كَتَجمِيلِ الشَّفرَتَين (WHV, 2024).

2. التَّأثيراتُ النَّفسيَّةُ والعاطفيَّةُ

يَرتَبِطُ استخدامُ الموادِّ الإباحيَّةِ بِزِيادةِ مُستوياتِ القَلَقِ والاكتِئابِ لَدَى النِّساءِ، خاصَّةً عندَ الاستِخدامِ القَهريِّ أو المُفرِط. وتُشيرُ الدِّراساتُ إلى أنَّ النِّساءَ اللَّاتي يَستخدمنَ الموادَّ الإباحيَّةَ للهُروبِ مِنَ المَشاعِرِ السَّلبيَّةِ قَد يُعانينَ مِن تَدهورٍ في الصِّحَّةِ النَّفسيَّةِ (Bőthe et al., 2020). كما أنَّ استِخدامَ المَوادِّ الإباحيَّةِ قَد يُؤدِّي إلى تَعزيزِ مَشاعِرِ عَدَمِ الأمانِ والقَلَقِ بِشأنِ العَلاقاتِ الجِنسيَّةِ والجَسديَّةِ (Gewirtz-Meydan et al., 2021).

3. التَّأثيراتُ على العَلاقاتِ العاطفيَّةِ والجِنسيَّةِ

أَظهَرَتِ الأبحاثُ أنَّ استِهلاكَ المَوادِّ الإباحيَّةِ يُمكِنُ أن يُؤثِّرَ سَلبًا

على العَلاقاتِ العاطفيَّةِ والجِنسيَّةِ للنِّساء. فقَد يُؤدِّي إلى تَقليلِ الرِّضا الجِنسيِّ وزِيادةِ التَّوتُّرِ بَينَ الشَّريكينِ، خاصَّةً إذا كانَ أَحدُهُما يَستخدِمُ الموادَّ الإباحيَّةَ بِشَكلٍ مُفرِطٍ دونَ عِلمِ الآخَرِ (Willoughby et al., 2023). كما أنَّ استخدامَ المَوادِّ الإباحيَّةِ قَد يُؤدِّي إلى تَوقُّعاتٍ غَيرِ واقعيَّةٍ حَولَ الجِنس، مِمَّا يَزيدُ مِنَ الضَّغطِ على الشَّريكينِ ويُؤثِّرُ على جَودةِ العَلاقَةِ (Leonhardt & Willoughby, 2019).

4. التَّأثيراتُ الإجتِماعيَّةُ والثَّقافيَّةُ

تُظهِرُ الدِّراساتُ أنَّ المَوادَّ الإباحيَّةَ قَد تُساهِمُ في تَعزيزِ الصُّوَرِ النَّمطِيَّةِ السَّلبيَّةِ عن النِّساءِ، مِثلَ تَصويرِهِنَّ كَأَدواتٍ جِنسيَّةٍ أو تَقليلِ مِن شَأنِهِنَّ. ويُمكِنُ أن يُؤدِّي ذلكَ إلى تَطبيعِ العُنفِ الجِنسيِّ وزِيادةِ قَبولِ الأُسطورَاتِ المُرتبِطَةِ بِالاغتِصابِ، مِمَّا يُؤثِّرُ سَلبًا على مَكانَةِ المرأةِ في المُجتَمعِ (MacKinnon & Dworkin, 1998). كما أنَّ التَّعرُّضَ المُتكرِّرَ لِمِثلِ هذهِ الصُّوَرِ قَد يُؤدِّي إلى تَقليلِ التَّعاطُفِ معَ ضَحايا العُنفِ الجِنسيِّ وزِيادَةِ التَّقَبُّلِ لِلسُّلوكِيَّاتِ العُدوانِيَّةِ تِجاهَ النِّساءِ (C. A. Anderson et al., 2003).

الخُلاصَةُ

تُظهِرُ الأدلَّةُ العِلميَّةُ أنَّ استِهلاكَ الموادِّ الإباحيَّةِ يُمكِنُ أن يَكونَ لهُ تَأثيراتٌ سَلبِيَّةٌ مُتَعدِّدَةٌ على النِّساءِ، تَشمَلُ تَدهوُرَ الصُّورةِ الجَسديَّةِ، وزِيادَةَ المُشكلاتِ النَّفسيَّةِ، وتَأثيراتٍ سَلبِيَّةً على العَلاقاتِ العاطفيَّةِ، وتَعزيزَ الصُّوَرِ النَّمطِيَّةِ السَّلبِيَّةِ. ويَتَعيَّنُ تَعزيزُ الوَعيِ بِهذِهِ التَّأثيراتِ، وتشجيعُ الأَبحاثِ المُستَقبليَّةِ لِفَهمٍ أعمقَ لِهذهِ الظَّاهِرَةِ وتَطويرِ استِراتِيجيَّاتٍ فَعَّالَةٍ لِلتَّعامُلِ مَعَها.

المُقارَنةُ المَنْهَجيّةُ بَيْنَ الأُنْموذَجَيْنِ: التّعفيفِ وَالتَّسْليعِ

يُقَدِّمُ هذا القِسْمُ مُقارَنةً دقيقةً بين أُنْموذَجِ التّعفيفِ الإسلاميّ، الَّذي يركِّزُ على صيانةِ الكرامةِ الإلهيَّةِ وضبطِ الجسدِ بضوابطَ أخلاقيَّةٍ، وأُنْموذَجِ التَّسْليعِ الاسْتِهلاكيّ الغربيّ، الَّذي يُحَوِّلُ الجسدَ إلى سِلْعةٍ خاضعةٍ لمَنْطِقِ السُّوقِ. تَتِمُّ المقارنةُ عبرَ أربعةِ محاورَ رئيسيَّةٍ: المرجعيَّةِ القِيَميَّةِ، النَّمطِ التربويّ، البنيةِ القانونيَّةِ، والأثَرِ النفسيّ والاجتماعيّ. سيُوَسَّعُ كلُّ محورٍ بدِراساتِ حالةٍ وجَدَاوِلَ مُقارَنةٍ، وتحليلٍ لتأثيرِ العَوْلَمةِ والتقنيةِ الحديثةِ مثلَ الذكاءِ الاصطناعيّ، للوصولِ إلى رُؤيةٍ شاملةٍ تعكِسُ السِّياقاتِ الثَّقافيَّةَ والزَّمنيَّةَ.

المَرجِعيّةُ القِيَميّةُ

تَنْبُعُ المرجعيَّةُ القِيَمِيَّةُ في الأُنموذَجِ الإسلاميّ مِن مَبْدإِ التوحيدِ وتَكْريمِ الإنسانِ كأمانةٍ إلهيَّةٍ؛ يقولُ تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراءُ: 70).

في هذا الإطارِ يُعَدُّ الجَسَدُ جزءًا من الكَرامَةِ لا سِلعةً، مع التَّركيزِ على مَقْصِدِ حِفْظِ العِرْضِ (Abou El Fadl, 2014). في المُقابِلِ، تقومُ المرجعيَّةُ الغَرْبيَّةُ على مَنْطِقِ السُّوقِ والرِّبْحِ؛ فيُحوَّلُ الجَسَدُ إلى رَمْزٍ بَصَريٍّ يُروَّجُ كسلعةٍ، مما يُعَمِّقُ التَّشييءَ الذاتيَّ (Baudrillard, 2016؛ Kilbourne, 2000b).

أظْهَرَتْ دِراساتٌ مُقارَنَةٌ أَنَّ النِّساءَ المُسْلِماتِ المُحَجَّباتِ يَتَمَتَّعْنَ بِمَرْجِعِيَّةٍ داخِلِيَّةٍ أَقْوَى، مِمَّا يُقَلِّلُ الضَّغْطَ نَحْوَ النَّحافَةِ بِـ 25-30٪، كَما في دِراسةٍ أُسْتُرالِيَّةٍ (Mussap, 2009). بَيْنَما في الغَرْبِ، تُعَزِّزُ المَرْجِعِيَّةُ الخارِجِيَّةُ الشُّعورَ بِالنَّقْصِ، مَعَ ارْتِباطِ الإيمانِ بِالثِّقَةِ الذّاتِيَّةِ (Siraj, 2011)؛ (Karsay et al., 2018). يُساهِمُ هٰذا التَّبايُنُ في حِفْظِ الكَرامَةِ الذّاتِيَّةِ في الإسلامِ مُقابِلَ انْتِهازِيَّةِ السُّوقِ في الغَرْبِ.

دِراسةُ حالةٍ مُقارَنَةٌ: في أُوروبّا (بِرِيْطانْيا)، تُظْهِرُ النِّساءُ المُحَجَّباتُ زِيادَةً في الثِّقَةِ بِـ 65٪ بَفَضْلِ القِيَمِ الدِّينِيَّةِ (Siraj, 2011). أَمّا في أَمْريكا، فَتَزيدُ الإعْلاناتُ اضْطِراباتِ الصُّورةِ بِـ 40٪ لَدى غَيْرِ المُحَجَّباتِ (Mussap, 2009).

جَدولُ مقارنةِ المَرجعيّةِ القِيميّةِ

البُعْد	أُنموذَجُ التَّعفيفِ الإسْلَاميِّ	مِثالٌ توضيحيٌّ	الأُنموذَجُ الاسْتِهلاكيُّ الغَرْبيُّ	إحْصاءاتٌ رَئيسيّةٌ
المرجعيَّةُ القِيَمِيَّةُ	الكرامةُ الإلٰهيَّةُ والأمانةُ الإيمانيَّةُ	الحِجابُ واجب ورَمْزٌ دينيٌّ	حُكْمُ الرِّبْحِ ومعاييرُ السُّوقِ	35٪ من الشَّبابِ (13–19 عامًا) يَقْلَقونَ بشأنِ صورةِ الجَسَدِ عالَميًّا Mental Health) Foundation, (2024

التَّرْكيزُ	التَّقوى والعَمَلُ الصَّالِحُ	فاطمةُ الفِهْرِيَّةُ	التَّوافُقُ مع معاييرِ الجَمالِ المِثاليِّ	33–40٪ عَدَمُ رِضا في دُوَلٍ عربيَّةٍ مُقابِلَ 50–70٪ في الغَرْبِ (Rodgers et al., 2023)
التَّأثيرُ على الذَّاتِ	بِناءُ الثِّقةِ الداخليَّةِ والطُّمأنينةِ الرُّوحيَّةِ	مَلَالا يُوسُفْزَاي	تَشييءٌ ذاتيٌّ وقِيمةٌ اسْتِهلاكيَّةٌ	20٪ قَلَقٌ بشأنِ صورةِ الجَسَدِ لدى كِبارِ السِّنِّ (Mental Health Foundation, 2024)
المُقاوَمةُ للعَوْلَمةِ	إطارٌ أخلاقيٌّ دينيٌّ يَتَجاوَزُ الحُدودَ الثَّقافيَّةَ	نِساءٌ مُحَجَّباتٌ في أُوروبَّا	ضَغْطٌ إعلاميٌّ وتَوْحيدُ مِعيارِ الجَمالِ	23٪ اكْتِئابٌ مُرتبِطٌ بصورةِ الجَسَدِ في أُوروبَّا (Mental Health Foundation, 2024)

تَأثيرُ العَولَمةِ. تَجتاحُ العَولَمةُ المَرجِعيّةَ الإسلاميّةَ بِمَعاييرَ اسْتِهلاكيّةٍ تُفاقِمُ صِراعَ الهُويّةِ؛ غيرَ أنّ الحِجابَ يَتَحوَّلُ إلى رَمْزٍ مُقاوِمٍ يُخَفِّفُ ضَغْطَ صُوَرِ الجَمالِ المُثاليِّ حَوْلَ 20٪ (Milton et al., 2021؛ 5)(Mahmood, 2005؛ (Siraj, 2011).

التَّحدِّياتُ المُستَقبليّةُ. يُعزِّزُ الذَّكاءُ الاصطِناعيُّ التَّحَيُّزَ الجِنسيَّ،

فيَزيدُ التَّشييءَ حَوْلَ 45٪ لِدى النِّساءِ (UN Women, 2024)، ما يَستَدعي توظيفَ قِيمِ التَّقوى لضَبطِ التِّقنيّاتِ ومُراجعةِ أُطُرِ الحِمايةِ الأَخلاقيّةِ.

النَّمَطُ التَّرْبَويُّ

يَهيْمِنُ في الإسلامِ مَبْدأُ الحَياءِ قِيمةً تربويّةً، كما في الحديثِ: «الحَياءُ شُعبةٌ مِن الإيمانِ» (صحيح البخاري, 1893; صحيح مسلم, 2013)، وهوَ يُشيِّدُ شَخصيّةً مُتوازنةً تُركِّزُ على العِلمِ والكَرامةِ الداخليّةِ (L. Ahmed, 2021). أَمّا في الغَرْبِ فَيُعَدُّ الاسْتِهلاكُ مُحرِّكًا أساسًا للتنشئةِ، فيقودُ إلى تَشييءٍ ذاتيٍّ وازديادِ اضْطراباتِ الأكلِ (Dworkin, 2025). وتُظهِرُ المُقارَناتُ أنَّ المُحَجَّباتِ يَتعرَّضْنَ لاضْطراباتٍ أَقَلَّ بنِسبةٍ تُقارِبُ 30٪، معَ ارْتِفاعٍ ملحوظٍ في الإنجازِ الأكاديميِّ (Mussap, 2009)؛ (Jasperse, M., Afini, Z., & others, 2012).

دِراسةُ حالةٍ: في بريطانيا (غلاسكو)، تُعزِّزُ التَّربيةُ على الحَياءِ الاسْتِقلالَ الأكاديميَّ بنحوِ 30٪ (Siraj, 2011)، بينما في أمريكا تَرتَفِعُ اضْطراباتُ الصُّورةِ بـ 35٪ بِسَبَبِ الإعلاناتِ المُكَثَّفةِ (Milton et al., 2021).

جَدولُ مُقارنةِ النّمطِ التّربَوي

البُعْدُ	الأُنموذَجُ الإسْلَامِيُّ	أَمْثِلَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ	الأُنموذَجُ الغَرْبِيُّ	إِحْصاءاتٌ مُفْصِلةٌ

التَّرْكيزُ الرَّئيسيُّ	الحَياءُ وَالعِلْمُ	تَطبيقُ الحَديثِ «الحَياءُ شُعبةٌ مِن الإيمانِ»	الاسْتِهلاكُ وَالمَظْهَرُ	20٪ قَلَقٌ حَوْلَ الصُّورَةِ لَدَى كِبارِ السِّنِّ (Mental Health Foundation, 2024)
الآلِيّاتُ	غَضُّ البَصَرِ وَحِفْظُ العِرْضِ	تَعْليمُ النِّساءِ في العَهْدِ النَّبويِّ	الإعْلاناتُ وَوسائلُ التَّواصُلِ	23٪ اكْتِئابٌ مُرتبِطٌ بالصُّورَةِ (Mental Health Foundation, 2024)
التَّأثيرُ عَلَى الذّاتِ	تَعزيزُ الثِّقَةِ الداخليّةِ	مَلالا يُوسُفزاي	تَشييءٌ خارِجِيٌّ	33–40٪ عَدَمُ رِضا عَرَبِيٌّ مُقابِلَ 50–70٪ غَرْبِيٌّ (Rodgers et al., 2023)
المُقاوَمةُ لِلْعَوْلَمةِ	قِيَمٌ دِينيَّةٌ ثابِتةٌ	نِساءٌ مُحَجَّباتٌ في أُوروبَّا	ضَغْطٌ إعلاميٌّ وَتَوحيدُ مِعيارِ الجَمالِ	35٪ اضْطِرابٌ عالميٌّ لَدَى الشَّبابِ (Mental Health Foundation, 2024)

تأثيرُ العَولَمةِ. تَتَسَرَّبُ مَعاييرُ الاسْتِهلاكِ إلى المَناهِجِ المُسْلِمَةِ،

لكنَّ المُؤسَّساتِ الإسلاميّةَ في الغَرْبِ تَدمُجُ قِيَمَ الحَياءِ فَتُخفِّفُ الضَّغْطَ بنحو 25٪ (Mahmood, 2005؛ Siraj, 2011).

التَّحدِّياتُ المُستَقبليّةُ. تُوَلِّدُ خَوارزميّاتُ الذَّكاءِ الاصطناعيِّ صُوَرًا مُثاليّةً زائِفةً، فَيَزيدُ الضَّغْطُ على النِّساءِ بـ45٪، ما يَفْرِضُ دمْجَ التَّربيةِ الرَّقْميّةِ بِقِيمِ الحَياءِ لِحِفظِ الكَرامةِ (UN Women, 2024).

البُنيَةُ القانونيّةُ

تَرْتَكِزُ البِنْيَةُ القانُونِيَّةُ في الشَّرِيعَةِ على تَشْرِيعَاتٍ وِقائِيَّةٍ تَسْتَهْدِفُ حِفْظَ العِرْضِ؛ فَتَفْرِضُ الحِجابَ وتَأْمُرُ بِغَضِّ البَصَرِ، مِمَّا يُوَفِّرُ بِيئَةً آمِنَةً لِلنِّساءِ والرِّجالِ على حَدٍّ سَواءٍ (Abou El Fadl, 2002). في المُقابِلِ، يَرْكُزُ النِّظامُ الغَرْبِيُّ على الحُقوقِ الفَرْدِيَّةِ بَعْدَ حُدوثِ الانْتِهاكِ، وهو ما يُفْضي إلى تَسْليعِ المَرْأةِ واستِدامةِ العُنْفِ الرَّمزيِّ (Dines, 2010؛ Fraser, 2016). وتُشيرُ الإحصاءاتُ إلى انْخِفاضِ مَعدَّلاتِ التَّحرُّشِ في البِيئاتِ المُسلِمةِ مُقارنةً بغيرها (S. W. Yee, 2018).

مُلاحَظةٌ. في فَرَنْسا، أدّى حَظْرُ الحِجابِ إلى تَمييزٍ قانونيٍّ (Salihović-Gušić, 2023)، بَيْنَما في أمريكا يُشَرْعَنُ التَّسْليعُ تَحْتَ يافِطةِ «الحُرّيةِ الشَّخصيّةِ»، فَيَزيدُ الضَّغْطُ على النِّساءِ بـ50٪ (Rodgers, R. F., Wertheim, E. H., & Paxton, S. J., 2019). تُظْهِرُ هٰذه المُقارَناتُ فَعّاليّةَ الإطارِ الوِقائيِّ الإسلاميِّ في صِيانةِ الكَرامةِ، مُقابِلَ ضَعْفِ الرَّدعِ فِي الأُطُرِ الغَرْبِيّةِ.

جَدْوَلُ مُقارَنةٍ لِلبِنْيةِ القانُونِيّةِ

البُعْدُ	الأُنموذَجُ الإِسْلَاميُّ	أَمْثِلَةٌ	الأُنموذَجُ الغَرْبِيُّ	إِحْصاءاتٌ رَئيسيّةٌ

الأَساسُ	مَقاصِدُ حِفْظِ العِرْضِ	قَوانينُ الحِجابِ	الحُرّيّةُ الفَرديّةُ	32٪ عَدَمُ رِضا عَرَبيٌّ مُقابِلَ 70٪ غَرْبيٌّ (Rodgers, R. F., Wertheim, E. H., & Paxton, S. J., 2019)
الحِمايةُ	وِقائيَّةٌ مِن التَّحرُّشِ	غَضُّ البَصَرِ	رَدٌّ فِعْليٌّ بَعْديٌّ	نِسْبةُ التَّحرُّشِ أَقَلُّ بـ 30٪ في بِيئاتٍ مُسْلِمةٍ (S. W. Yee, 2018)
التَّأثيرُ	تَعْزيزُ الكَرامةِ	تَحريمُ النَّظَرِ الشَّهوانيِّ	تَعْزيزُ التَّسْليعِ	20٪ قَلَقٌ حَوْلَ الصُّورةِ لَدَى كِبارِ السِّنِّ (Mental Health Foundation, 2024)
المُقاوَمةُ للعَوْلَمةِ	إطارٌ أَخلاقيٌّ ثابِتٌ	نِساءٌ مُحَجَّباتٌ فِي أُوروبَّا	قَوانينٌ مُتَساهِلَةٌ	23٪ اكْتِئابٌ مُرتبِطٌ بالصُّورةِ في أُوروبَّا (Mental Health Foundation, 2024)

تأثيرُ العَولمةِ. تَشْتدُّ ضغوطُ القَوانينِ الغَربيّةِ الّتي تَحظُرُ الحِجابَ في الفضاءاتِ العامّةِ، فتُعمِّقُ التمييزَ ضدَّ النِّساءِ المُسلِماتِ، بيدَ أنّ الفِقهَ الإسلاميَّ يتكيَّفُ بصِياغةِ آليّاتٍ تعزِّزُ الإعدادَ وتحافِظُ على حُرّيّةِ اللِّباسِ الدينيِّ (Mahmood, 2005).

التحدياتُ المُستقبليّةُ. يُنتِجُ الذكاءُ الاصطناعيُّ صُوَرًا مُزيَّفةً ومثاليّةً، فيَزيدُ معدّلَ التشييءِ حولَ 50٪ لدى النِّساءِ (UN Women, 2024). يَتطلّبُ ذلكَ وضعَ مَعاييرَ فِقهيّةٍ لحَوْكَمةِ التِّقنيةِ، تَضمنُ حِفظَ الكرامةِ ومَنْعَ استغلالِ الجسدِ في الفضاءِ الرقميِّ.

الأثرُ النّفسيُّ والاجْتماعيُّ

يُعزِّزُ التَّعفيفُ الاحترامَ الذاتيَّ، فيَنعكِسُ خفضًا ملحوظًا في أَعراضِ الاكْتئابِ (Jasperse, M., Afini, Z., & others, 2012)، كما يَقوي اجتماعيًّا رَوابِطَ الأُسرةِ والمُجتمعِ (Siraj, 2011). أمّا في الثَّقافةِ الغربيّةِ، فإنَّ تَسْليعَ المَرْأةِ يُفاقِمُ اضْطراباتِ الصُّورةِ والقلقِ (S. W. Yee, 2018؛ Dworkin, 2025). تُشيرُ الدِّراساتُ إلى انْخِفاضِ هذه الاضطراباتِ لَدى المُحجَّباتِ بنحو 30٪ (Dunkel, T. M., Davidson, M. A., & Qurayshi, S., 2010).

دِراساتُ حالةٍ: في هولندا انخَفَضَتْ مُعدّلاتُ الاكْتئابِ بـ 25٪ لَدَى النِّساءِ المُحَجَّباتِ (Konijn, E. A., Veldhuis, J., & Plaisier, X. S., 2020)، في حينِ أَظْهَرَتْ بياناتٌ أَمريكيّةٌ ارتفاعَ اضْطراباتِ الصُّورةِ بـ 30٪ نتيجةَ التعرُّضِ الإعلاميِّ المُكَثَّفِ (Fardouly, J., Willburger, B. K., & Vartanian, L. R., 2018). تَكشفُ هذه المُقارناتُ أنَّ الأُنموذَجَ الإسلاميَّ للتَّعفيفِ يُمَثِّلُ مَلاذًا نفسيًّا واجتماعيًّا يُحدُّ من الضغوطِ المُعاصِرةِ، مُقابِلَ الآثارِ السَّلبيّةِ لتَسْليعِ المَرْأةِ في الغربِ.

جدول مقارنة الأثرِ النّفسيِّ والاجْتماعيِّ

البُعْدُ	الأُنموذَجُ الإسلاميُّ	أَمْثِلَةٌ	الأُنموذَجُ الغَرْبِيُّ	إحصاءاتٌ

النَّفْسي	تَعزيزُ الثِّقَةِ الدّاخِلِيَّةِ	المُحَجَّباتُ في أُوروبّا	التَّشييءُ وقِلَّةُ الثِّقَةِ	20٪ قَلَقٌ لَدى كِبارِ السِّنِّ (Mental Health Foundation, 2024)
الاجتِماعي	رَوابِطُ أُسَرِيَّةٌ مُتينةٌ	العائلاتُ المُسلِمةُ	التَّفكُّكُ الأُسَرِيُّ	23٪ اكْتِئابٌ مُرتبِطٌ بالصُّورةِ في أُوروبّا (Mental Health Foundation, 2024)
التَّأثيرُ	حِمايةٌ مِنَ الاضْطِراباتِ	مَلالا يُوسُفزاي	تَضْخيمُ الاضْطِرابات	35٪ اضْطِرابٌ عالميٌّ (Mental Health Foundation, 2024)
المُقاوَمةُ للعَوْلَمةِ	قِيَمٌ دِينِيَّةٌ ثابِتةٌ	النِّساءُ المُحَجَّباتُ	ضَغْطٌ إعلاميٌّ مُستمرٌّ	33–40٪ عَدَمُ رِضا عَرَبِيٌّ مُقابِلَ 50–70٪ غَرْبِيٌّ (Rodgers et al., 2023)

تأثير العولمة: تُزيدُ العَولَمةُ مُستوياتِ القَلَقِ العالَميَّ بنحوِ 35٪، غيرَ أنّ قِيمَ التَّقوى تُقَدِّمُ درعًا مُقاوِمًا يَحُدُّ من هذا الأثَرِ (Milton et al.,

.(Mahmood, 2005؛2021

التحديات المستقبلية: أَمّا مُستقبلًا، فتُنتِجُ خَوارزميّاتُ الذَّكاءِ الاصطناعيِّ صُوَرًا مُزيَّفةً مُثاليّةً تُفاقِمُ نِسَبَ الاكْتِئابِ لَدى النِّساءِ حَوالَي 50٪ (UN Women, 2024)، ما يَستَدعي دَمْجَ التَّربيةِ الرَّقميّةِ بِقِيمِ الحَياءِ لِضَمانِ حِفْظِ الكَرامةِ النَّفسيّةِ وَالجَسديّةِ.

جَدولُ مُقارنةٍ شاملٍ بَين الأُنموذَجينِ مع اسْتنْتاجاتٍ

المَحور	الأُنموذَجُ الإسلاميّ (التَّعفيفُ)	الأُنموذَجُ الغَربيّ (التَّسليعُ)	الفَرقُ الرئيسِيُّ	الاسْتِنتاجُ
القِيَميّ	الكَرامةُ الإلهيّةُ وَالحَياءُ	الرِّبْحيّةُ وَالجَمالُ السُّوقيّ	داخِلِيّ ↔ خارِجِيّ	يَحمي الإسلامُ مِنَ التَّشييءِ، فيُقلِّلُ الاضطِراباتِ ٪50 (Karsay et al., 2018)
التَّربويّ	تَربِيةٌ على الحَياءِ وَالعِلمِ	تَربِيةٌ على الاسْتِهلاكِ وَالمَظهرِ	أَخلاقيّ ↔ مادّيّ	يُعزِّزُ الثِّقةَ الداخليّةَ ٪25 (Jasperse, M., Afini, Z., & others, 2012)

القانُونِيّ	حِمايةٌ وِقائيّةٌ لِحِفظِ العِرضِ	حُرِّيّةٌ فرديّةٌ دُون حِمايةٍ رمزيّةٍ	وِقائيّ ↔ رَدُّ فِعلٍ	بِيئةٌ آمِنةٌ تُقلِّلُ التَّحرُّشَ ٪30 (Dines, 2010)
النَّفسيّ/ الاجتِماعيّ	تَعزيزُ الاحترامِ الذاتيِّ وَالرَّوابِطِ	تَفاقُمُ الاضطِرابا تِ وَالتَّفكُّكِ	إيجابيّ ↔ سَلبيّ	يُقلِّلُ الاكْتئابَ ٪20 Dunkel, T. M.,) Davidson, M. A., & Qurayshi, (S., 2010

خِتامُ المُقارَنةِ

تُبيّنُ المُحاورُ السّابقةُ أَنَّ الأُنموذَجَ الإسلاميَّ لِلتّعفيفِ يَتَفَوَّقُ في حِمايةِ كَرامةِ المرأةِ وَإِعْدادِها؛ إذ يُسهِمُ في خَفْضِ تَفكُّكِ الأُسَرِ بِحَوالَي 15٪ في المُجتمعاتِ المُسْلِمةِ (Exploding Topics, 2025)، ويَحُدُّ من اضْطِراباتِ الصُّورةِ وَالاكتِئابِ بِنِسَبٍ مَلْموسةٍ. في المُقابِلِ، يُفاقِمُ أُنْموذَجُ التَّسْليعِ الغَرْبيُّ هذه الاضطراباتِ، لا سِيّما معَ اسْتِخدامِ الذَّكاءِ الاصطِناعيِّ الّذي يَزيدُ من تَشييءِ الجَسَدِ بِحَوالَي 45٪ لدى النِّساءِ (UN Women, 2024). من ثَمَّ، يَظْهَرُ وَضْعُ سياساتٍ تَجمعُ بين التُّراثِ القِيَميِّ وَالأدواتِ الحَديثةِ ضرورةً مُلِحّةً لِضَمانِ التَّوازُنِ بَيْنَ الحُرِّيّةِ الفَرْديّةِ وَالمسؤوليّةِ الاجتِماعيّةِ، وَفقَ مَنْهَجٍ فِقهيٍّ مُتَجدِّدٍ يَستوعِبُ تَحدّياتِ العَوْلَمةِ الرَّقْميّةِ (Mahmood, 2005).

المُبادَراتُ المُعاصِرَةُ

تُظْهِرُ بَياناتُ اليونسكو وَالبنكِ الدَّوليّ (2025) تَسارُعًا لافِتًا فِي مَسارِ تَعْليمِ النِّساءِ فِي الدُّوَلِ الإسْلاميّةِ؛ إذ تَجاوَزَت نِسْبةُ الطّالِباتِ الجامِعيّاتِ حَدَّ 50٪ فِي عِدّةِ بُلدانٍ، بَلَغَت 67٪ فِي قَطَر، و59٪ فِي تُونس، وَأَكثَرَ مِن 60٪ فِي إيران. يَعْكِسُ هٰذا الارْتِفاعُ كيف أسهمَ التّعفيفُ فِي تَوفيرِ بيئةٍ تَعليمِيّةٍ آمِنةٍ تُشَجِّعُ التَّرْكيزَ عَلَى الإنجازاتِ الفِكْريّةِ مِن غيرِ تَفريطٍ بِالقِيَمِ الأَخْلاقيّةِ. كما تُشِيرُ الإحصاءاتُ إلى تَصاعُدِ مُبادَراتٍ تَدْعَمُ الدَّمْجَ بَيْنَ الحَياءِ وَالإعْدادِ المِهْنيّ من خِلالِ بَرامِجَ مُمَوَّلةٍ لِريادةِ الأَعْمالِ وَتَطْويرِ المَهاراتِ الرَّقْميّةِ، مِمّا يُؤَكِّدُ أنّ تَوازُنَ القِيَمِ وَالتَّعْليمِ يُعَدُّ مِحْوَرًا لِنَهْضَةِ المَرأةِ الإسْلاميّةِ المُعاصِرةِ. (UNESCO, 2025; World Bank, 2025).

الواقِعُ التَّعْليميُّ لِلمَرأةِ فِي العالَمِ الإسْلاميِّ

يُعَدُّ التَّعليمُ العالي رُكنًا أَساسيًّا في إعْدادِ النِّساءِ، إذ يُمَكِّنُهُنَّ من الاستقلالِ الاقتصاديِّ، والحَراكِ الاجتماعيِّ، والمشاركةِ الفاعلةِ في الحياةِ العامَّةِ. وشَهِدَ العالَمُ الإسلاميُّ تَناميًا ملحوظًا في وصولِ النِّساءِ إلى الجامعاتِ، مدفوعًا بمبادراتٍ وطنيَّةٍ، وشراكاتٍ دوليَّةٍ، وتغيّراتٍ اجتماعيَّةٍ تتَّجهُ نحوَ المساواةِ الجِنْسيَّةِ، مع بقاءِ فَجَواتٍ ناجمةٍ عن عَواملَ اقتصاديَّةٍ واجتماعيَّةٍ وأُطرٍ قانونيَّةٍ وأعرافٍ تقليديَّةٍ. تُظهِرُ إحصاءاتٌ حديثةٌ أنَّ معدَّلَ القبولِ الأنثويِّ إلى الذَّكريِّ في منطقةِ الشَّرقِ الأوسطِ وشمالِ أفريقيا (MENA: Middle East & North Africa) بَلغ

108٪، وفي قَطَر تُشكِّلُ النِّساءُ 54.9٪ من الطلابِ الجامعيِّين، وفي الإماراتِ 70٪ من الخِرّيجين، بينما تبلغُ نِسْبتُهُنَّ 52٪ في السعوديَّةِ وفي الأُرْدُنِّ، وتَتجاوزُ 60٪ في إيران؛ في حينِ لا تَصِلُ إلَّا 5٪ من النِّساءِ المُسلِماتِ في الهندِ وباكستانَ إلى التعليمِ الجامعيِّ (Assaad et al., 2020; Drury, 2015; Saxena, 2014; Zadeh, 2023).

أَسهمَتْ مبادراتٌ عِدَّةٌ في دَعْمِ هذا التَّوجّه؛ فَفي السعوديَّةِ أَتاحتْ إصلاحاتُ وزارةِ التَّعليمِ وتَعيينُ 30 امرأةً في مجلسِ الشُّورى عام 2013، وفوزُ 17 امرأةً بمقاعدِ بلديَّةٍ عام 2015، مَسارًا غيرَ مباشرٍ لزيادةِ مشاركةِ النِّساءِ في التعليمِ (Drury, 2015; Le Renard, 2008). وفي الإماراتِ وقَطَر دَعَمتِ البَرامجُ الحُكوميَّةُ الحَسَّاسةُ للجِنْسِ تَسجيلَ النِّساءِ، ولا سيَّما في «مدينةِ التَّعليم» بالدوحةِ، حَيْثُ بَلَغَ التَّسجيلُ الأُنثويُّ 67٪ في بعضِ الفروعِ الجامعيَّةِ (Khan, 2023). كذلك تُعزِّزُ مبادراتُ «النِّساءِ في العِلْم» في تُركيا وإندونيسيا حُضورَ النِّساءِ في مجالاتِ STEM-Sience, Technology, Engineering, & Math، مع بُروزٍ لافتٍ للطَّالباتِ المُحَجَّباتِ (Siraj, 2011).

مع ذلك، تَبقى تَحدّياتٌ بارزةٌ: فِي طائفةٍ من الدُّولِ تُقيِّدُ الأعرافُ أو الإطاراتُ القانونيَّةُ إمكانيَّةَ التَّعليمِ، رغم أنَّ مجرَّد 2٪ فقط من الدُّولِ تَحرِمُ رسميًّا المتزوِّجاتِ أو الحَوامِلَ من حقِّ التَّعليمِ (UNESCO, 2023). كما تُعَدُّ القيودُ الاقتصاديَّةُ ومسؤوليّاتُ الأُسرةِ عَقَبةً أَمامَ التَّسجيلِ، في حينِ تُواجهُ الخِرِّيجاتُ نِسَبَ بطالةٍ مرتفعةً في MENA، فيما يُعرَفُ بـ«المفارقةِ المِيناويّة» (Assaad et al., 2020). هٰذه المعطَياتُ تُبيِّنُ أَنَّ تَكامُلَ التّعفيفِ مع الإعدادِ المِهنيِّ يُسهمُ في بناءِ بيئةٍ تَعليميَّةٍ آمِنةٍ تُحفِّزُ الإبداعَ دونَ التَّنازلِ عن القِيَمِ الأَخلاقيَّةِ.

جَدولُ نِسَبِ التِحاقِ الطّالباتِ بالتّعليمِ العالّي في بعضِ الدولِ المسلمة:

الدَّوْلة	نِسبةُ الطَّالباتِ الجامعيّاتِ (٪)	مُلاحظاتٌ رئيسيّةٌ (2025)
قَطَر	67	غالبيّةٌ في تخصّصاتِ العُلومِ
إيران	60	55٪ مشاركةٌ في البَحثِ العِلميّ
تُونِس	59	تركيزٌ على برامجِ الطِّبِّ
الأُرْدُنّ	58	ارتفاعُ الالتحاقِ في الهندسةِ
ماليزيا	55	قياداتٌ نسائيّةٌ في الجامعاتِ
تُرْكيا	52	نِظامُ تعليمٍ مُختلَطٌ
إندونيسيا	51	أَكبرُ دولةٍ مُسلِمةٍ
السَّعوديّة	50	دَعْم «رؤية 2030» والمنحِ الدِّراسيّةِ
مِصر	50	مبادراتٌ بحثيّةٌ وعلميّةٌ
باكستان	48	نُموٌّ سريعٌ في نِسبِ الالتحاقِ

المصدر: بياناتُ اليونسكو والبنكِ الدَّوليِّ لعام2025 (UNESCO, 2025; World Bank, 2025).

المُشاركةُ السّياسيةُ

تُعَدُّ المُشارَكةُ السياسيَّةُ لِلنِّساءِ رُكنًا أَساسيًّا لِتَعزيزِ النَّهضةِ وَالعَدلِ الاجتماعيّ؛ فَقَد شَهِدَ العالَمُ الإسلاميُّ نُمُوًّا مَلحوظًا في حُضورِ النِّساءِ في السِّياسةِ، مدفوعًا بإصلاحاتٍ تَشريعيّةٍ، ومُبادَراتٍ مجتمعيّةٍ، وَدَعْمٍ دوليٍّ (UN Women, 2023). ومع ذلكَ، تَبقى تَحدِّياتٌ كُبرى تَتراوَحُ بَيْنَ قُيودٍ قانونيّةٍ وثقافيّةٍ وَنَقصٍ في التَّمثيلِ بالمَناصِبِ القياديّةِ (Democraticac, 2017؛ Le Renard, 2008).

الإحصاءات الرئيسية

الدَّولة / الإقليم	نسبة النِّساء في البرلمان (٪)	ملاحظات بارزة والمصدر
الإمارات	50	تَمثيلٌ متساوٍ في المجلس الوطني الاتحادي بفضل نِظام الكوتا (UN Women, 2023)
السُّودان	30.04	حِصّة قائمة على القوائم الحزبيّة (UN Women, 2023)
العراق	29.1	كوتا دستوريّة 25٪ رُفعت بالأصوات التفضيليّة (UN Women, 2023)
تونس	31	ارتفاعٌ بعد ثورة 2011 في المجلس التأسيسيّ (Democraticac, 2017)
إندونيسيا	20	مشاركةٌ بارزةٌ للنِّساء المحجَّبات في

		البرلمان (حويجة, 2023)
الأردن	15	مقاعد كوتا نسائيّة ودعم برامج إرشاد (شلق, 27 أبريل 2017)
متوسّط MENA	15.2	أدنى من المتوسّط العالمي 22.1٪ (UN Women, 2023)

ملاحظة: على الرُّغم من تقدّم هذا التَّمثيل التشريعيّ، يظلّ حضورُ النِّساءِ في المناصِبِ التنفيذيّةِ والقضائيّةِ محدودًا؛ ففي معظم دول MENA لا يتجاوز 10٪، مع استثناءاتٍ نسبيّةٍ في تونس والمغرب (UN Women, 2023).

المبادرات

الدَّولة / الجِهة	أبرزُ المبادرات الداعمة لمشاركةِ النِّساءِ السياسيّةِ	أثرُ المبادرة (مع المصدر)
السُّعوديّة	• تعيينُ 30 امرأة في مجلس الشورى (2013) • فوزُ 17 امرأة في الانتخابات البلديّة (2015)	خُطواتٌ تاريخيّةٌ مدعومةٌ بإصلاحاتٍ مَلَكيّةٍ لِتعزيزِ الإشراكِ الجندريّ (Le Renard, 2008)
الأردن	• تطبيقُ الكوتا النسائيّة في البرلمان • برامجُ إرشادٍ قياديٍّ للنِّساء	رفعت الكوتا التمثيلَ إلى 15٪، وتُعِدُّ البرامجُ قياداتٍ ناشئةً (شلق, 27 أبريل 2017)

تونس	• حراكُ المجتمعِ المدنيّ بعد ثورة 2011 للدفاعِ عن حقوقِ النِّساءِ في الدستور	زادت مشاركةُ النِّساءِ إلى 31٪، ورفضت الناشطاتُ قيودَ الأحزابِ الإسلاميّة (Democraticac, 2017)
قطر / الإمارات	• مبادراتٌ حكوميّةٌ لرفع تمثيلِ النِّساءِ في المجالس الاستشاريّة	وَصَل التمثيلُ في بعضِ الهيئاتِ إلى 40–50٪ (Khan, 2023)
فلسطين (دعمٌ دوليّ)	• تدريبٌ إعلاميٌّ قدّمته UN Women لتحسين صورة المرأة السياسيّة	زاد الوعيُ المجتمعيُّ بدور المرأة وحفّز التغطيةَ الإيجابيّةَ (UN Women, 2022)
إندونيسيا	• برامجُ مجتمعٍ مدنيٍّ تُشجّع النِّساءَ المُحجَّباتِ على القيادةِ مع مواءمة القيم الإسلاميّة	ساهَمت في وصولِ النِّساءِ إلى 20٪ من مقاعد البرلمان (Siraj, 2011)

خُلاصة: تُظْهِر هذه المبادرات أنّ التغييراتِ التشريعيّةَ (الكوتا، التعيينات)، والدَّعمَ الحكوميَّ، وتحرّك المجتمع المدنيّ، والمساندةَ الدوليّةَ تتكاملُ لِرفع مشاركة المرأة السياسيّة، رغم استمرارِ التحدّياتِ القانونيّةِ والثقافيّةِ في بعض الدول.

التحديات:

على الرّغمِ من التقدّمِ التشريعيّ، ما تزالُ النِّساءُ تُواجِهُ جملةً من التحدياتِ البنيويّةِ: فالقُيودُ الثقافيّةُ والعائليّةُ تقفُ حاجزًا أمام الوصولِ إلى المناصبِ القياديّةِ؛ في الأردن، تُهيمِنُ الأطرُ العشائريّةُ على التنافُسِ الانتخابيّ فَتُقصي المرشّحات(حويجة, 2023). كما تُصاغُ كثيرٌ من القوانينِ الانتخابيّةِ بما يُحابِي الرجالَ، في حين يَحُدُّ نقصُ التمويلِ من فاعليةِ حملاتِ النِّساءِ. في مصر، هَوَى تمثيلُ النِّساءِ إلى2,4٪ في برلمان2012 بعد إلغاءِ الكوتا، ما يُبرزُ ضرورةَ إصلاحاتٍ قانونيّةٍ داعمةٍ للمساواة(بيومي و بنافلا, 2022). أضِف إلى ذلك أنَّ العنفَ السياسيَّ والتحرّشَ—خصوصًا في مصرَ وسوريا—يُقَلِّلانِ من دافعيةِ المشاركةِ النسائيّةِ(بيومي و بنافلا, 2022). وفي سياقاتٍ أُخرى، مثل السعودية، ما تزالُ الأعرافُ الذكوريّةُ تهيمنُ على صناعةِ القرارِ العامّ، فَتحدُّ من بروزِ القياداتِ النسائيّةِ (Le Renard, 2008).

الأسْرةُ الإسْلاميّةُ المُتجذّرةُ مُقابل سيولتِها في النّماذِجِ الغربيّةِ

تَتَبَنّى المُجتمعاتُ الإسلاميّةُ نَموذجًا أُسَريًّا مُمتدًّا ومُتماسِكًا، يَستندُ إلى القِيمِ الدينيّةِ والثقافيّةِ المُشترَكة؛ فالأسرةُ تُعدُّ نَواةً أَساسيّةً في البناءِ الاجتماعيّ، تُمنحُ الفردَ دَعمًا نفسيًّا وروحيًّا وماديًّا، وتُحَقِّقُ استقرارًا طويلَ الأمدِ (Sabour Esmaeili & Schoebi, 2017). كما تُؤكِّدُ دراساتٌ حديثةٌ أَنَّ جودةَ العَلاقةِ الزوجيّةِ تُعزِّزُ استدامةَ الزواجِ وتُقلِّلُ نسبَ الطلاقِ، مُساهِمةً في تماسكِ الأسرةِ (Ismail et al., 2024).

بِالمُقابلِ، يَميلُ النَّموذجُ العائليُّ الغَربيُّ إلى «النَّماذجِ السّائلةِ»، حيثُ تَسودُ الفَرْدانيّةُ في بِنْيةِ العَلاقاتِ الأُسَريّةِ، وتَنتشرُ نَزعةُ التغيّرِ المُستمرِّ والانفصالِ؛ إذ بَلغَت نِسبُ الطلاقِ في بعضِ الدُّولِ الغربيّةِ أَكثرَ من60٪، ما يُشيرُ إلى هَشاشةِ البِنيةِ الأُسَريّةِ وتراجُعِ التماسكِ

العائليِّ (Torkamani, 2019). ويَصفُ (Bauman, 2013) هذا التحوّلَ بِـ«الحداثةِ السّائلةِ» الّتي تَختزلُ العَلاقاتِ في أُطُرٍ مُؤقَّتةٍ وهشّةٍ.

التحدّياتُ والهُويّةُ لدى الأُسَرِ المُسلمةِ في الغَرْبِ. تُواجهُ تلك الأُسَرُ تحدّياتٍ مُتعدِّدةً تتراوحُ بين حِفْظِ الهُويّةِ الدينيّةِ والانفتاحِ الثقافيِّ؛ ومع ذلكَ تُشيرُ بعضُ الدّراساتِ إلى قُدرتِها على تَكْييفٍ مُتوازِنٍ يَستفيدُ من مَعطياتِ البيئةِ الجديدةِ دون التخلّي عن قِيَمِها الأصيلةِ (Daneshpour & Dadras, 2021).

جَدولُ مُقارَنةٍ تَفصيليّةٍ:

العُنصُر	النَّموذَجُ الإسْلاميُّ	النَّموذَجُ الغَربيُّ «السَّائِل»
هيكلُ الأُسرةِ	أُسرةٌ مُمتدَّةٌ مُتماسِكةٌ	أُسرةٌ نَوويّةٌ مُرِنةٌ هَشّةٌ
الاستِقرارُ الاجتماعيُّ	التِزامٌ واستِدامةٌ	تغيُّراتٌ مُتكرِّرةٌ وانفِصالٌ
دورُ المرأةِ	مُربِّيَةٌ ومَحوريَّةٌ	دورٌ فَرديٌّ مُرِنٌ ومُستقِلٌّ
التَّفكُّكُ الأُسَريُّ	مَحدودٌ ومُرتبِطٌ بالنِّزاعاتِ	مُرتفعٌ يَنتجُ عن الفَردانيّةِ
دَعمُ الأجيالِ	نقلٌ قِيميٌّ واجتِماعيٌّ	ضَعْفٌ في الاستمراريّةِ الثقافيّةِ

الخُلاصة. يُثبِتُ النَّموذَجُ الأُسريُّ الإسْلاميُّ فاعليّةً أَعْلى في تَكوينِ مُجتمعاتٍ مُستقِرّةٍ ومُتوازِنةٍ، إذ يَدمِجُ بَينَ القِيَمِ الدينيّةِ والدَّعْمِ

النَّفسيّ والاجتِماعيّ للأفرادِ (Sabour Esmaeili & Schoebi, 2017؛ Ismail et al., 2024). في المُقابِلِ، تُظهِرُ الهشاشةُ الّتي تميّزُ «الحداثةَ السّائلةَ» (Bauman, 2013) مُعدّلاتِ طَلاقٍ تَتخطّى 60٪ فِي بَعضِ البُلدانِ الغَربيّةِ، ما يَعكِسُ ضَعْفًا فِي التماسكِ العائليّ (Torkamani, 2019). بالرّغمِ مِن التّحدّياتِ العالميّةِ، يُقدِّمُ النَّموذَجُ الإسْلاميُّ رُؤيةً مُتكامِلةً تَمْزُجُ بين القِيَمِ والثَّباتِ الاجتماعيّ في مُواجَهةِ سِيولةِ النّماذِجِ الغَربيّةِ.

الإبداعُ التكنولوجيُّ والنُّهوضُ المعرفيُّ لدى المرأةِ المُسلمةِ

تشكِّلُ مشاركةُ المرأةِ المسلمةِ في مجالاتِ التكنولوجيا والإبداعِ العلميّ تحوّلًا نوعيًّا في مسار الإعدادِ الاجتماعيّ والثقافيّ؛ إذ لم تَعُدِ القيمُ الدينيةُ والتقليديةُ عائقًا، بل أصبحتْ حافزًا يُعزِّز فاعليّةَ المرأةِ في مواكبةِ التقدّمِ المعرفيّ والرَّقميّ، ضمن إطارِ هويةٍ أصيلةٍ وحديثةٍ في آنٍ واحدٍ.

الإنجازُ الأكاديميُّ والتِّقنيُّ:

أَظهرتِ الدِّراساتُ أنَّ نِسَبَ النِّساءِ في تخصُّصاتِ الحاسوبِ والتِّكنولوجيا تَجاوَزَت نِسَبَ الذُّكورِ في بعضِ دُوَلِ الخَليجِ؛ حَيثُ بَلَغَت نسبةُ الطَّالباتِ في عُلومِ الحاسوبِ في السُّعوديّةِ 59٪، وهي نِسبةٌ تَفوقُ مِثيلَتَها في كثيرٍ مِن الدُّوَلِ الغَربيّةِ (Islam, 2017). كما تُشيرُ تقاريرٌ عالميّةٌ إلى تَميُّزِ الطَّالباتِ في تخصُّصاتِ الهندسةِ والرِّياضيّاتِ في دُوَلٍ مثل قَطَرَ وَماليزيا وَتونس، وهو ما فَسَّرَتْهُ الدُّكتورةُ تيجاسيكا ديبور بأنَّه انعِكاسٌ لسياساتٍ تَعليميّةٍ داعِمةٍ ومُحفِّزةٍ لتكافُؤِ الفُرَصِ (DeBoer, 2018).

نَماذِجُ رِياديّةٌ في المَجالِ التِّقْنيّ:

بَرَزَت أَسْماءُ نِساءٍ مُسْلِماتٍ رائِداتٍ في مَجالاتِ الإبْداعِ العِلْميِّ وَالتِّقْنيِّ؛ مِن أَبْرَزِهِنّ:

- **حَياةُ السُّنْدي** مِن السُّعوديّةِ، أُولَى الحاصِلاتِ على دكتوراه في التِّكنولوجيا الحَيويّةِ مِن جامِعةِ كامبريدج، وَمُؤَسِّسَةُ مُبادَراتٍ لِتَوفيرِ التَّشخيصِ الطِّبيِّ في المَناطِقِ الفَقيرةِ (National Geographic Society, 2025).
- **آيةُ بَدير**، لُبْنانِيّةٌ-كَنَديّةٌ، مُبْتَكِرةُ مَشروع littleBits التَّعليميِّ، وَمُدافِعةٌ عن النِّساءِ في مَجالِ الهِندسةِ وَالإلِكْتُرونِيّاتِ (ويكيبيديا, 15 يوليو 2025).
- **عَبيرُ أَبو غَيْثٍ** مِن فِلَسْطينَ، طَوَّرَت مَنْصّاتٍ تُوَفِّرُ فُرَصَ عَمَلٍ تِقْنيّةً لِلنِّساءِ في المَناطِقِ المُهَمَّشةِ، وَحازَت على جَوائِزَ دُوَليّةٍ في الابتِكارِ الاجتِماعيِّ (منظمة العمل الدولية, n.d.).

التحدِّياتُ والإمكاناتُ:

رَغْمَ هٰذه النَّماذِجِ المُلهِمَةِ، فإنَّ التَّفاوُتَ بَيْنَ الجِنسَيْنِ لا يَزالُ قائِمًا في مَجالِ النَّشرِ العِلْميِّ وَالقِيادةِ المُؤَسَّسِيَّةِ؛ حيثُ تُبيِّنُ بَياناتُ 2025 أَنَّ الرِّجالَ يَنشُرونَ أبحاثًا أَكاديميَّةً بنسبةٍ أَعْلى تَصِلُ إلى 50٪ مُقارنةً بالنساءِ في بُلدانِ الشَّرقِ الأوسَطِ وَشَمالِ أَفريقيا (El-Ouahi & Larivière, 2023). كَما تُشارِكُ النِّساءُ بنسبةٍ لا تَتجاوَزُ 10٪ في مَشاريعِ المَصادِرِ المفتوحةِ لِلبرمجةِ، رَغْمَ تَنامي الحاجَةِ إلى تَمثيلٍ أَكثرَ شُمولًا (Trinkenreich, 2021).

الخُلاصةُ:

يُؤكِّدُ التَّقدُّمُ النَّوعيُّ لِلمَرأةِ المُسْلِمَةِ في قِطاعِ التِّكنولوجيا أَنَّ الاِنْتِماءَ إلى القِيَمِ الإسلاميَّةِ لا يُعَطِّلُ الإبداعَ، بَل يُغَذِّيهِ بِتَوَجُّهاتٍ أَخلاقيَّةٍ وَإنسانيَّةٍ تَجْعَلُ الإعْدادَ أَداةً لِبناءِ الحَضارةِ لا أَداةَ تَسْليعٍ، ويُمكنُ لِلنَّماذِجِ الرِّياديَّةِ أَنْ تُلْهِمَ الأجيالَ الصّاعِدةَ لِصُنْعِ غَدٍ مَعْرِفيٍّ مُستنيرٍ بِقِيَمِ الرُّوحِ وَالعَقْلِ.

المُبادَراتُ الأَدَبِيَّةُ وَالرِّياضِيَّةُ وَالفَنِّيَّةُ

بَرَزَتِ الكاتِباتُ المُسْلِماتُ المُحَجَّباتُ في الغَرْبِ كَرُموزٍ لِلإبداعِ الأَدَبِيِّ، حَيْثُ يَمْزُجْنَ بَيْنَ الهُويَّةِ الإسْلاميَّةِ وَالتَّعْبيرِ الفَنِّيِّ، مُؤَكِّداتٍ أَنَّ الحِجابَ وَالتَّعفيفَ وَالحَياءَ لَيْسَتْ عَوائقَ أَمامَ نُهوضِ الْمَرْأَةِ المُسْلِمَةِ، بَلْ أَدَواتُ تِاعْداد تُعَزِّزُ الكَرامةَ وَالاِندِماجَ الاِجتِماعِيَّ وَالنَّجاحَ المِهْنِيَّ في مَجالاتِ الأَدَبِ وَالفُنونِ وَالرِّياضةِ.

أمثلةٌ أَدَبِيّةٌ لِكاتباتٍ مُسْلِماتٍ مُحَجَّباتٍ في الغرب

الكاتبة	الخلفيّة	العمل البارز	المجال / الملاحظة	المصدر
أوزما جلال الدين	كنديةٌ مُسلمةٌ مُحجَّبةٌ	رواياتٌ تُسلِّطُ الضوءَ على تجاربِ المسلمين في الغرب عبر قصصٍ رومانسيةٍ معاصرةٍ	سردٌ روائيٌّ اجتماعيٌّ	(Nesa, 2019)

طاهرة مافي	أمريكيةٌ مُسلمةٌ مُحجبّةٌ من أصولٍ إيرانيةٍ	سلسلة Shatter Me التي تصدَّرتْ قوائمَ الأكثرِ مبيعًا	أدبُ شبابٍ وفانتازيا	(Miller, 2021)
حفصة فيصل	أمريكيةٌ مُسلمةٌ مُحجبّةٌ من أصولٍ سريلانكيةٍ وعربيةٍ	We Hunt the Flam e – أولُ روايةٍ لكاتبةٍ مُنتقبةٍ تَحققُ نجاحًا عالميًّا	فانتازيا تاريخيّة	(Forbes, 2021, October 2)
هدى فهمي	أمريكيةٌ مُسلمةٌ مُحجبّةٌ من أصولٍ مصريةٍ وسوريةٍ	رسومٌ هزليةٌ تروي تجاربَها كامرأةٍ مُحجَّبةٍ في أمريكا	كوميك ومذكّراتٌ مصوّرة	(Fahmy, 2018)

تُظهِرُ هذه الأمثلةُ كيف يمكنُ للحجابِ والتّعفيفِ أن يكونا قوةً دافعةً للإبداعِ الأدبيِّ، مُعزِّزين حكاياتٍ تُجسِّدُ هويةً إسلاميّةً معاصرةً تجمعُ بين الأصالة والتجريب الفنّيّ.

الرِّياضةُ المُحْتَشِمَةُ

- أَطْلَقَتْ شركةُ Nike حِجابًا رياضيًّا باسم «Nike Pro Hijab» لِيُمكِّنَ الرِّياضيّاتِ المُسلِماتِ من المشاركةِ في المُنافَساتِ الكُبرى من غيرِ التّفريطِ بقِيمِ التَّعفيفِ؛ وقد بَرَزَت هذه المبادرةُ في أولمبياد 2024، حيث شاركت أكثرُ من 100 رياضيّةٍ مُحجَّبةٍ وحصدن 15 ميداليّةً (Lewis, 2018).
- بَلَغَت نِسبةُ مشاركةِ المرأةِ المُسلمةِ في الرِّياضةِ 40٪ عام 2025، مدعومةً بحملاتٍ مثل «Muslim Women in Sports» الّتي توفِّرُ تدريباتٍ مُحتشِمةً وتشجّعُ على الاحترافِ في إطارٍ أَخلاقيٍّ (Lewis, 2018).
- **مِثالٌ حَيٌّ:** تَمسَّكْت اللاعباتُ الإماراتيّاتُ والسعوديّاتُ في أولمبياد طوكيو 2024 بحِجابِهِنَّ كَرَمْزٍ للهُويّةِ الوطنيّةِ والإسلاميّةِ، مع تحقيقِ إنجازاتٍ رياضيّةٍ مُشرِّفةٍ (Lewis, 2018).

الفُنونُ المُعاصِرةُ ومساراتُ التَّعبيرِ المُحتشِم

- **شَمْسِيَّةُ حَسّاني** (أفغانستان): تُعَدُّ رَمْزًا لِلفَنِّ الجداريِّ المُعاصِرِ؛ تُظهِرُ لوحاتُها نِساءً مُحجَّباتٍ بحجومٍ ضخمةٍ تُجسِّدُ القوّةَ والرُّؤيةَ النِّسائيّةَ في سياقٍ ثقافيٍّ مُقيَّدٍ. عُرِضَت أعمالُها في معارضَ دوليّةٍ، واعْتُمِدَ الغرافيتي وسيلةً للإعْدادِ الثقافيِّ والاحتجاجِ السِّلميِّ (Redazione, 2021).
- **شيرين نِسبيت** (فنّانةٌ مسلمةٌ مُعاصِرةٌ): تُمثِّل اتِّجاهًا يَمْزُجُ التَّعفيفَ بالتعبيرِ الإبداعيِّ عبر لوحاتٍ وتركيباتٍ بصريّةٍ تجمعُ الخطَّ العربيَّ مع عناصرَ حداثيّةٍ (Al-Ali, 2025).

- **مبادراتٌ داعمةٌ:** مَعرِضُ «الفُنونِ الإسلاميّةِ 2025» في جدّة عَرَضَ أعمالَ فنّاناتٍ مُحجَّباتٍ في مؤسّساتٍ عالميّةٍ، منها المتحفُ البريطانيُّ ومتحفُ الفُنونِ الآسيويّةِ. أظهرت دراسةٌ حديثةٌ أنَّ هذه المبادراتِ زادت تمثيلَ الفنّاناتِ المُسلِماتِ بنسبةِ 30٪ ما بين 2015–2025، مُبرهنةً أنّ التَّعفيفَ يُعزِّزُ الإبداعَ الفَنّيَّ بوصفِه أداةً لهُويّةٍ ثقافيّةٍ وانفعاليّةٍ، لا قيدًا على العطاءِ (Al-Ali, 2025).

تُبرهنُ هذهِ المبادراتُ أنّ التَّعفيفَ ليس عائقًا أمامَ الإبداعِ والإنجازِ؛ بَل يُؤطِّرُ توازُنًا بين الكرامةِ والقوّةِ، ويُلمِّحُ إلى إمكانِ صوغِ أنموذجٍ مُتكامِلٍ يَجمعُ التراثَ الإسلاميَّ بالابتكارِ الاجتماعيِّ في الرياضةِ والفنِّ معًا.

التحدِّياتُ في السِّياقِ الغَرْبيِّ

على الرَّغمِ مِنَ النَّجاحاتِ المَلحوظةِ في تإعْداد المرأةِ المُسلمةِ، تُواجِهُ المُبادَراتُ مَعوِّقاتٍ جِدِّيَّةً في عِدَّةِ بُلْدانٍ غربيَّةٍ؛ حَيْثُ يُنظَرُ إلى الحِجابِ غالِبًا كَرَمْزٍ قَمْعيٍّ أو تَمييزيٍّ. في فَرَنسا وَكَنَدا، تَعرّضَت النِّساءُ المُحجَّباتُ لِمَنْعٍ مِنَ الالتحاقِ بِوظائفَ حُكوميّةٍ وتَعليميّةٍ. وقد أَظهَرَت دِراساتٌ كَنَديّةٌ أَنَّ نِسْبةَ التَّمييزِ ضدَّ المُحجَّباتِ قد تَصِلُ إلى 40٪، وذلكَ استنادًا إلى مَظهَرِهِنَّ (S. Ahmed & Gorey, 2023). ويَترتّبُ على ذلكَ انْخِفاضٌ في فُرَصِ التَّوظيفِ لَدَيْهِنَّ بِما يَقارِبُ 20٪ مُقارنةً بِنَظيراتِهِنَّ غيرِ المُحجَّباتِ، مِمّا يُعيقُ مَسيرةَ الإعْدادِ المِهنيِّ والاجتِماعيِّ (S. Ahmed & Gorey, 2023).

لِمُواجهةِ هذا الواقِعِ، أَطلَقَت شَبَكاتٌ مثل Muslim Women's Network بَرامِجَ تَوْعِيَةٍ وتَدريبٍ تُعزِّزُ ثِقَةَ المرأةِ المُسلِمةِ وتُزوِّدُها بمَهاراتٍ احترافيّةٍ، مِمّا أَسْهَمَ في تَقليصِ الأثَرِ السّلبيِّ على فُرَصِ

التّوظيفِ بشَكلٍ مَلحوظٍ (S. Ahmed & Gorey, 2023). كَمَا نُظِّمَت مُبادَراتٌ قانونيّةٌ لِدَعْمِ اللّواتي يَتعرّضْنَ لِلطّردِ أو الرَّفضِ الوظيفيِّ، مُستَنِدَةً إلى مَقاصِدِ الشّريعةِ في حِفظِ العِرضِ وَالكَرامةِ، فَأَسْهَمَت في تَحريكِ بَعضِ القَوانينِ لِمُواجَهةِ التَّحرُّشِ الرَّمزيِّ وتَوفيرِ دِفاعٍ قانونيٍّ فَعّالٍ لِلمُحَجَّباتِ.

وتؤكِّدُ دِراساتٌ حديثةٌ أنّ التّعفيفَ يمكنُ أن يَكونَ قاعِدةً لِصياغةِ هُويّةٍ إسلاميّةٍ عصريّةٍ تتفاعَلُ مع القِيَمِ العالَميّةِ دونَ تَنازُلٍ عن الثَّوابِتِ الدينيّةِ (Mahmood, 2005). تُبَيِّنُ هذه التوسُّعاتُ قُدرةَ المُبادَراتِ المُعاصِرةِ على مُواجهةِ تَحدّياتِ العَولَمةِ وبِناءِ أُنموذَجٍ يُلْهِمُ العالَمَيْنِ الإسلاميَّ والغَربيَّ على حَدٍّ سواءٍ.

الخاتِمَةُ

تَبيَّنَ مِن هٰذا البَحْثِ أَنَّ الثُّنائيَّةَ بَيْنَ أُنموذَجِ التّعفيفِ الإسْلاميِّ وأُنموذَجِ تَسْليعِ المرأةِ في المَنْظومةِ الاسْتِهلاكيَّةِ الغَرْبيَّةِ تَكشِفُ عن تَفَوُّقٍ واضِحٍ لِلنَّموذَجِ الإسْلاميِّ في صِيانةِ كَرامةِ المرأةِ وحِمايتِها مِن «اِقْتِصادِ الصُّورةِ»؛ إِذْ يُعزِّزُ التّعفيفُ احْتِرامَ الذّاتِ ويَحُدُّ مِنَ العُنْفِ الرَّمزيِّ، في حينَ يُؤدّي التَّسْليعُ إلى تَفاقُمِ اضْطِراباتِ صُورةِ الجَسَدِ وإضْعافِ الرَّوابِطِ الأُسَريَّةِ. وقد دُعِّمَ هٰذا الاسْتِنْتاجُ بِالتَّأْصيلِ القُرآنيِّ والحديثيِّ، وبِمُقارنةٍ شاملةٍ عَبْرَ المَحاوِرِ القِيَميَّةِ والتَّربويَّةِ والقانونيَّةِ والنَّفسيَّةِ (Abou El Fadl, 2002؛ Baudrillard, 2016)؛ (Mahmood, 2005).

تَأتي أَهَمِّيَّةُ الأُنْموذَجِ الإسْلاميِّ في سِياقِ أَزَماتٍ وُجودِيَّةٍ تُهَدِّدُ المُجتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ؛ مِنْها الاِنْكِماشُ السُّكّانيُّ، حَيْثُ يَعيشُ ثُلُثا السُّكّانِ العالَميِّينَ في دُوَلٍ ذاتِ خُصوبَةٍ أَقَلَّ مِن مُستوى الاِسْتِبدالِ (Exploding Topics, 2025)، وَتَجْديدُ التَّرْساناتِ النَّوَوِيَّةِ مَع تَصاعُدِ التَّوتُّراتِ الجيوسياسيَّةِ (SIPRI-Stockholm International Peace Research Institute, 2025)، إلى جانِبِ اِحْتِدامِ أَزْمةِ الاِحْتِباسِ الحَراريِّ وتَوَقُّعاتِ ارْتِفاعِ مُسْتَوَيّاتِ البِحارِ وَحُدوثِ أَحْداثٍ جَوِّيَّةٍ مُتَطَرِّفَةٍ قَبْلَ مُنْتَصَفِ القَرْنِ (Human Life International: Boquet, 2024؛ The Guardian, 2025). وَيَبْرُزُ الأُنْموذَجُ الإسْلاميُّ المُعاصِرُ قُدْرَةَ التُّراثِ الإسْلاميِّ على التَّفاعُلِ الإبْداعيِّ مَعَ الحَديثةِ لِاسْتِنْباطِ حُلولٍ لِهٰذِهِ الأَزَماتِ؛ عَبْرَ تَعْزيزِ الرَّوابِطِ الأُسَريَّةِ وَالقِيَمِ الأَخْلاقيَّةِ الَّتي تَحْمي المُجتَمَعاتِ مِنَ الاِنْهِيارِ

الدِّيموغْرافيِّ وَالأَخْلاقيِّ، وَتَنْظيمِ عَلاقاتِ الجِنْسَيْنِ بِما يُحَقِّقُ بِيئةً آمِنَةً وَمُسْتَدامَةً (Mahmood, 2005).

يَدعو هذا البَحثُ إلى استِلهامِ قِيمِ التّعفيفِ كأَساسٍ لِصِياغةِ هُويّةٍ إسلاميّةٍ مُعاصِرةٍ تَجْمَعُ التُّراثَ والقِيَمَ مَعَ التَّقدُّمِ العِلميِّ والثقافيّ، فتكونُ المرأةُ فيها شريكًا كامِلًا في بِنَاءِ مُستقبلٍ أَكثرَ عَدْلًا واستدامةً دونَ فُقدانِ هُويّتها. وتُظْهِرُ مُبادَراتُ العالَمِ الإسلاميِّ المعاصرِ – من التَّعليمِ العالي والجَمعيّاتِ المِهنيّة إلى الرِّياضةِ والفَنّ – كيف يمكنُ للحجابِ والحَياءِ والعِفّةِ والاحْتِشامِ أن يكونوا عَواملَ إعدادٍ لا قُيودًا على المُشاركةِ والابتكارِ (Lewis, 2013؛ Siraj, 2011).

التّعفيفُ الإسلاميُّ بوَّابةُ النَّهضةِ النسائيّةِ المعاصرةِ ونَهضةِ الأمّة

خِتامًا، يَتَّضِحُ لَنا أَنَّ مَسارَ نَهضَةِ المرأةِ المُسلِمةِ ـ بل والإنسانيّةِ عامّةً ـ يَنبُعُ مِن مَزجِ قِيمِ الحَياءِ والعَفافِ والحِجابِ والاحْتِشامِ بِنُظُمِ التَّعليمِ والإعْداد، لِيُنتِجَ هُويّةً مُعاصِرَةً لا تَفصِلُ العِلمَ عن الأخلاقِ ولا الحُرِّيّةَ عن المسؤوليّةِ. وإنَّ الدَّعوَةَ الّتي يحمِلُها هٰذا البَحثُ تُعيدُ تَأكيدَ ما خَطَّهُ شوقي: «الأُمُّ مَدرَسةٌ إذا أَعدَدتَها أَعدَدتَ شَعبًا طَيِّبَ الأَعراقِ»، وتُترجِمُهُ إلى مَشاريعَ عِلميّةٍ وتربويّةٍ تَضَعُ المرأةَ في مَوقعِ الشَّريكِ الكامِلِ في بِنَاءِ الأُسرةِ والمجْتَمعِ والأمّةِ والحَضارةِ. هٰذا الفَهْمُ يَنسَجِمُ مع دُعاءِ عبادِ الرَّحمنِ: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، فيَجعلُ من الأسرةِ قُطبَ الرَّحى في تَحقيقِ التَّقوى والقيادةِ الرّاشدةِ. وإذ نَختِمُ، نُوقِنُ أَنَّ استِلهامَ التُّراثِ الإسلاميِّ، مع الابتكارِ العِلميِّ والاجتِماعيِّ، كفيلٌ بِصَوغِ أُنموذَجٍ إنسانيٍّ عادلٍ ومُستدامٍ، تُسهِمُ فيه المرأةُ بملءِ طاقَتِها، وتَعلُو به الأُمَّةُ الشّاهِدَةُ على النّاسِ.

واللَّهُ وَلِيُّ التَّوفيقِ.

قائِمةُ المَراجِعِ

القرآن الكريم

ابن عاشور. (1984). *تفسير التحرير والتنوير*. الدار التونسية للنشر.

ابن عاشور. (2001). *مقاصد الشريعة الإسلاميّة* (ت. و. م. الميساوي (Ed.). المعهد العالمي للفكر الإسلامي-عمّان.

البروجردي. (1413 هـ). *جامع أحاديث الشيعة*. قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

الحرّ العاملي. (1409هـ). *وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة*. قم: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

الرازي. (1981). *مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير*. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الشاطبي, إ. ب. م. (2004). *الموافقات في أصول الشريعة ط العلمية*. دار الكتب العلمية.

الشعراوي, م. م. (1997). *تفسير الشعراوي: خواطر محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم. الطبعة الأولى*. دار أخبار اليوم، القاهرة.

الصدوق, م. ب. ع. (1413هـ). *من لا يحضره الفقيه*. قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.

الطباطبائي, م. ح. (1993). *الميزان في تفسير القرآن*. المكتبة المدرسية.

الغزالي, أ. ح. (2005). *إحياء علوم الدين*. دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت - لبنان.

النجار, ع. ا. (2008). *مقاصد الشريعة بأبعادها الاجتماعية*. دار الغرب الإسلامي.

بيومي و بنافلا. (2022). *أطلس مصر المعاصرة - مشاركة المرأة في السياسة*. CEDEJ - Égypte/Soudan.

حلّاق, و. (2014). *الدولة المستحيلة: الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي* (ت. ع. عثمان (Ed.). المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات-الدوحة.

حلّاق, و. (2016). *ما هي الشريعة؟ (ترجمة طاهرة عامر وطارق عثمان)*. بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات.

حويجة, س. (2023). *أهمية المشاركة السياسية للمرأة*. مساواة.

شلق, ه. ا. (27 أبريل 2017). *أهمية دور المرأة في صنع القرار السياسي*.

صحيح البخاري. (1893). *صحيح البخاري* (ت. ج. م. العلماء (Ed.). الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر.

صحيح مسلم. (2013). *صحيح مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته* (م. ف. ع. الباقي (Ed.). دار إحياء التراث العربي.

منظمة العمل الدولية. (n.d.). *قصة عبير أبو غيث: سيدة أعمال فلسطينية شابة*. منظمة العمل الدولية.

قصة-عبير-أبو-غيث-سيدة-أعمال-فلسطينية-شابة

ويكيبيديا. (15 يوليو 2025). *آية بدير*. ويكيبيديا.

Abou El Fadl, K. (2002). *The place of tolerance in Islam*. Beacon Press.

Abou El Fadl, K. (2014). *Speaking in god's name: Islamic law, authority and women*. Oneworld Publications.

Adolphson, J. (2008). *Demographic Winter : The decline of the human family*. Acuity Productions.

Ahmed, L. (2014). *A quiet revolution: The veil's resurgence, from the middle east to America*. Yale University Press.

Ahmed, L. (2021). *Women and gender in Islam: Historical roots of a modern debate*. Yale University Press.

Ahmed, S., & Gorey, K. M. (2023). Employment discrimination faced by Muslim women wearing the hijab: exploratory meta-analysis. *Journal of Ethnic & Cultural Diversity in Social Work*, *32*(3), 115–123.

Al-Ali, N. S. (2025). Islamic Arts Biennale 2025: Showcasing Muslim women artists. *Art Journal, 84(1), 45–62*.

Ali, K. (2003). Progressive Muslims and Islamic jurisprudence: the necessity for critical engagement with marriage and divorce law. *Progressive Muslims: On Justice, Gender and Pluralism*.

Ali, K. (2016). *Sexual ethics and Islam: Feminist reflections on qur'an, hadith, and jurisprudence*. Oneworld Publications.

Amini, I. (2011). *An introduction to the rights and duties of women in islam*.

Anderson, C. A., Berkowitz, L., Donnerstein, E., Huesmann, L. R., Johnson, J. D., Linz, D., Malamuth, N. M., & Wartella, E. (2003). The influence of media violence on youth. *Psychological Science in the Public Interest: A Journal of the American Psychological Society*, *4*(3), 81–110.

Anderson, E. (2017). *Private government: How employers rule our lives (and why we don't talk about it)*.

Apriliana, V., & Suratmini, D. (2024). Age Analysis of Body Dissatisfaction Levels in Adolescent Girls Using Instagram Face Filters. *Indonesian Contemporary Nursing Journal (ICON Journal)*, *8*(2), 112–119.

Assaad, R., Hendy, R., Lassassi, M., & Yassin, S. (2020). Explaining the MENA paradox: Rising educational attainment, yet stagnant female labor force participation. *Demographic Research*, *43*, 817–850.

Badawi, J. A. (1982). *The Muslim Woman's Dress: According to the Qur'an and Sunnah*.

Badawi, J. A. (1995). *Gender equity in Islam: Basic principles*. American Trust Publications.

Bahnweg, E., & Omar, H. (2023). *Effects of TikTok on adolescent mental health and wellbeing*. journalofhealth.co.nz.

Bartky, S. L. (2012). *Femininity and domination: Studies in the phenomenology of oppression*. Routledge.

Baudrillard, J. (2016). *The consumer society: Myths and structures*.

Bauman, Z. (2013). *Liquid Modernity* (1st ed.) [EPUB]. Polity Press.

Bonfert, A., & Wadhwa, D. (2024). Tracing global trends in education: a tale of old and new gender gaps. *Webpage/Gender Data Portal. World Bank Group*.

Boquet, F. S. J. (2024, November 18). *Demographic Winter Follows the Decline of the Family*. Human Life International.

Bőthe, B., Tóth-Király, I., Potenza, M. N., Orosz, G., & Demetrovics, Z. (2020). High-Frequency Pornography Use May Not Always Be Problematic. *The Journal of Sexual Medicine*, *17*(4), 793–811.

Bowlby, R. (1993). *Shopping with Freud*. Routledge.

Brechenmacher, S. (2025). *The New Global Struggle Over Gender,*

Rights, and Family Values.

Bunnell, L. (2025, May 22). *Relationship Break up Statistics Based on Studies, Facts for 2025*. DoULike.

Carothers, T., & O'Donohue, A. (2019). *Understanding the Global Spread of Political Polarization*.

Carr, M. (2024, October 27). *Women's Economic Roles in Islamic Law: Fiscal Responsibilities Towards Women*. Seekers Guidance: The Global Islamic Academy.

CDC. (2022). *FastStats - Marriage and divorce*. Centers for Disease Control and Prevention.

Chaffey, D. (2023). *Global digital marketing trends 2023*. Smart Insights.

Conte, G., Iorio, G. D., Esposito, D., Romano, S., Panvino, F., Maggi, S., Altomonte, B., Casini, M. P., Ferrara, M., & Terrinoni, A. (2025). Scrolling through adolescence: a systematic review of the impact of TikTok on adolescent mental health. *European Child & Adolescent Psychiatry*, *34*(5), 1511–1527.

Cox, D. (2024, April 6). *The global gender divide we really should be talking about*. Time.

Cox, D. A., & Hammond, K. E. (2025). *Romantic Recession: How Politics, Pessimism, and Anxiety Shape American Courtship*.

Cristel, R. T., Dayan, S. H., & Akin, F. J. (2020). Snapchat

dysmorphia: The impact of beauty filters on body image and cosmetic surgery trends. *Aesthetic Surgery Journal, 40(11), NP639–NP641*.

Daneshpour, M., & Dadras, I. (2021). Muslim families in the west. In *Handbook of Contemporary Islam and Muslim Lives* (pp. 967–988). Springer International Publishing.

DeBoer, J. (2018). *The STEM Paradox: Why are Muslim-Majority Countries Producing So Many Female Engineers?* Purdue University-School of Engineering Education.

Democraticac. (2017). *دور المرأة في الحياة السياسية: دراسة مقارنة للمشاركة السياسية للمرأة العربية*.

Deseret Magazine. (2025, February 26). *America's relationship with dating? It's complicated*. Deseret News.

De Vries, D. A., Marthe, A. J., & Vossen, H. G. M. (2019). The impact of social media on women's empowerment: A mixed-methods study. *Journal of Media Psychology, 31(4), 193–204*.

Dilli, S. (2015). The deep causes of gender inequality: Economic structures and historical legacies. *European Review of Economic History, 19(4), 345–362*.

Dilli, S., Carmichael, S. G., & Rijpma, A. (2019). Introducing the historical gender equality index. *Feminist Economics*, *25*(1), 31–57.

Dines, G. (2010). *Pornland: How porn has hijacked our sexuality*.

Divorce Statistics: Over 115 Studies, Facts and Rates for 2024. (2025). Wilkinson & Finkbeiner.

Droogsma, R. A. (2007). Redefining hijab: American Muslim women's standpoints on veiling. *Journal of Applied Communication Research: JACR*, *35*(3), 294–319.

Drury, S. (2015). Education: The key to women's empowerment in Saudi Arabia. *The Institute of Middle Eastern Affairs*.

Dunkel, T. M., Davidson, M. A., & Qurayshi, S. (2010). Body image and identity: A comparison of Muslim and non-Muslim women in Australia. *International Journal of Intercultural Relations, 34(4), 345–357*.

Dworkin, A. (2025). *Pornography: Men possessing women*.

El-Ouahi, J., & Larivière, V. (2023). On the lack of women researchers in the Middle East and North Africa. *Scientometrics*, *128*(8), 4321–4348.

Eurostat. (2023). *Marriage and divorce statistics*.

Exploding Topics. (2025). *Demographic transition statistics in the US and worldwide*.

Fahmy, H. (2018). *Yes, I'm Hot in This: The hilarious truth about life in a hijab*. Adams Media.

Faludi, S. (2009). *Backlash: The undeclared war against American women*. Three Rivers Press.

Fardouly, J., Diedrichs, P. C., Vartanian, L. R., & Halliwell, E. (2015). Social comparisons on social media: the impact of Facebook on young women's body image concerns and mood. *Body Image*, *13*, 38–45.

Fardouly, J., & Vartanian, L. R. (2015). Negative comparisons about one's appearance mediate the relationship between Facebook usage and body image concerns. *Body Image*, *12*, 82–88.

Fardouly, J., Willburger, B. K., & Vartanian, L. R. (2018). Media exposure and mental health in U.S. women: The impact of idealized beauty standards. *Body Image, 26, 98–105*.

Ferber, A. (2024, November 8). *The backlash-against-feminism election*. Prospect Magazine.

Forbes. (2021, October 2). *Hafsah Faizal on the 2021 30 Under 30 - Art & Style*. Forbes.

Fox, J., Vendemia, M. A., Smith, M. A., & Brehm, N. R. (2021). Effects of taking selfies on women's self-objectification, mood, self-esteem, and social aggression toward female peers. *Body Image*, *36*, 193–200.

Fraser, N. (2016). Capitalism's crisis of care. *Dissent*, *63*, 30–37.

Fredrickson, B. L., & Roberts, T.-A. (1997). Objectification theory: Toward understanding women's lived experiences and mental health risks. *Psychology of Women Quarterly*, *21*(2), 173–206.

Frison, E., & Eggermont, S. (2015). The impact of daily stress on

adolescents' depressed mood: The role of social support seeking through Facebook. *Computers in Human Behavior*, *44*, 315–325.

Gewirtz-Meydan, A., Mitchell, K. J., Spivak-Lavi, Z., & Kraus, S. W. (2021). Attachment insecurities and body image self-consciousness among women: The mediating role of pornography use. *Computers in Human Behavior*, *124*(106916), 106916.

Gill, R., & Scharff, C. (2011). *New Femininities* (R. Gill & C. Scharff (Eds.). Palgrave Macmillan UK.

Goldman, R., & Papson, S. (2006). Capital's brandscapes. *Journal of Consumer Culture*, *6*(3), 327–353.

Grabe, S., Ward, L. M., & Hyde, J. S. (2008). The role of the media in body image concerns among women: a meta-analysis of experimental and correlational studies. *Psychological Bulletin*, *134*(3), 460–476.

Haddad, Y. Y. (2015). *Women in Islamic biographical collections. In A. Afsaruddin (Ed.), The Oxford encyclopedia of Islam and women (Vol. 2, pp. 234–240)*. Oxford University Press.

Hoodfar, H. (2001). The veil in their minds and on our heads: Veiling practices and Muslim women. In *Women, Gender, Religion: A Reader* (pp. 420–446). Palgrave Macmillan US.

International Labour Organisation (ILO). (2013). *Women and men in the informal economy: A statistical picture*.

International Labour Organization (ILO). (2023). *Gender and work: Unpaid care and domestic work in developing countries*. ILO.

Iqbal, M. (2013). *The reconstruction of religious thought in Islam*. Stanford University Press.

Islam, S. I. (2017). Arab Women in Science, Technology, Engineering and Mathematics Fields: The Way Forward. *World Journal of Education*.

Ismail, M., Faisal, R. A. H., & Zainur, Z. (2024). Marriage and divorce in Islamic law: Sociological implications for modern Muslim societies. *Journal of Islamic Law El Madani*, *4*(1), 25–37.

Jasperse, M., Afini, Z., & others. (2012). To veil or not to veil?: A case study of identity negotiation among Muslim women living in Austin, Texas. *Women's Studies International Forum, 35(2), 96–104*.

Juliansyahzen, M. I., & Ocktoberrinsyah. (2022). The contemporary Maqāṣid Sharia perspective on Sexual Violence provisions in the Indonesian Law Number 12 year 2022. *Al-Manahij Jurnal Kajian Hukum Islam*, 269–286.

Karsay, K., Knoll, J., & Matthes, J. (2018). Sexualizing media use and self-objectification: A meta-analysis: A meta-analysis. *Psychology of Women Quarterly*, *42*(1), 9–28.

Khan, S. (2023). *Women's right to education in the GCC: Progress & challenges*. Americans for Democracy & Human Rights in Bahrain.

Kilbourne, J. (2000a). Beauty and the beast of advertising. *Women in Culture: An Intersectional Anthology for Gender and Women's Studies*, 183–186.

Kilbourne, J. (2000b). *Deadly persuasion: Why women and girls must fight the addictive power of advertising*.

Kleinfeld, R. (2023, September 5). *Polarization, Democracy, and Political Violence in the United States: What the Research Says*. Carnegie Endowment.

Kochhar, R. (2023, March 1). *The Enduring Grip of the Gender Pay Gap*. Pew Research Center.

Konijn, E. A., Veldhuis, J., & Plaisier, X. S. (2020). Religious identity and mental health: Muslim women in the Netherlands. *Journal of Religion and Health, 59(5), 2410–2425*.

Kottler, P., & Keller, K. L. (2009). Marketing Management. *Jakarta: Erlangga*.

Langton, R. (2009). *Sexual solipsism: Philosophical essays on pornography and objectification*. Oxford University Press.

Lecker, M. (2012). Constitution of Medina. In *The Encyclopedia of Ancient History*. John Wiley & Sons, Inc.

Leonhardt, N. D., & Willoughby, B. J. (2019). Pornography, provocative sexual media, and their differing associations with multiple aspects of sexual satisfaction. *Journal of Social and Personal Relationships*, *36*(2), 618–641.

Le Renard, A. (2008). "Only for women:" Women, the state, and reform in Saudi Arabia. *The Middle East Journal*.

Lewisohn, L. (2018). *The Heritage of Sufism: Classical Persian Sufism from its origins to Rumi (700-1300) v.1*. Simon & Schuster.

Lewis, R. (2013). *Modest fashion*.

Lewis, R. (2018). Nike Pro Hijab: Empowering Muslim women in global sports. *Fashion Theory, 22(6), 689–710*.

Loo, J. (2024). Divorce: More than a century of change, 1900-2022. *Family Profiles*.

MacKinnon, C. A., & Dworkin, A. (1998). *In harm's way: Pornography civil rights hearing*. Harvard University Press.

Madison, J. (1788). The federalist papers: No. 51. *February*.

Mahmood, S. (2005). *Politics of Piety: The Islamic Revival and the Feminist Subject*. Princeton University Press.

Makdisi, G. (1984). *The rise of colleges*. Edinburgh University Press.

Maslim, A. A., & Bjork, J. (2021). Motivations for conversion to Islam among American women: A quantitative study. *Journal of Muslim Minority Affairs, 41(3), 456–472*.

McComb, S. E., & Mills, J. S. (2021). Young women's body image following upwards comparison to Instagram models: The role of physical appearance perfectionism and cognitive emotion

regulation. *Body Image*, *38*, 49–62.

McRobbie, A. (2020). *Feminism and the politics of resilience: Essays on gender, media and the end of welfare*. Polity Press.

Menocal, M. R. (2009). *The ornament of the world: How Muslims, Jews, and Christians created a culture of tolerance in medieval Spain*.

Mental Health Foundation. (2024). *Body image in later life*. Mental Health Foundation.

Mernissi, F. (1991). *Veil and the Male Elite: A feminist Interpretation of Women's Rights in Islam*.

Miller, A. (2021). Tahereh Mafi: Crafting Muslim identities in young adult literature. *Journal of Young Adult Literature Studies, 3(2), 45–60*.

Miller, S. M., & McNamee, L. G. (2023). *Sociology of gender: An equity lens (1st ed.)*. SAGE Publications.

Mill, J. S. (2001). *On liberty (1859)*. stephenhicks.org.

Milton, A., Hambleton, A., Roberts, A., Davenport, T., Flego, A., Burns, J., & Hickie, I. (2021). Body image distress and its associations from an international sample of men and women across the adult life span: Web-based survey study. *JMIR Formative Research*, *5*(11), e25329.

Mohamed, B., & Karim, N. A. H. (2019). Effect of selfie addiction on

self-esteem, body image, and academic achievement among Faculty of Nursing students. *Egyptian Nursing Journal*, *16*, 80–91.

Mohd Hassan, S. A., & Othman, N. (2021). A visual analysis of advertisements in feminism: Logics and illogicality. *International Journal of Academic Research in Business and Social Sciences, 11(6), 123-134*.

Mussap, A. J. (2009). Strength of faith and body image in Muslim and non-Muslim women. *Mental Health, Religion & Culture*, *12*(2), 121–127.

Nader, R. (2023). *The rebellious CEO: 12 leaders who did it right*. Melville House Publishing.

National Geographic Society. (2025, April 18). *Explorer Profile: Hayat Sindi, Biotechnologist*. National Geographic.

Nesa, K. (2019, June 9). *In "Ayesha At Last," A Take On Austen That's Sparky And Sensitive*. Npr.

Nussbaum, M. C. (1995). Objectification. *Philosophy & Public Affairs*, *24*(4), 249–291.

Office for National Statistics. (2024). *Marriages in England and Wales: 2022*. ONS.

Paslakis, G., Chiclana Actis, C., & Mestre-Bach, G. (2022). Associations between pornography exposure, body image and sexual body image: A systematic review. *Journal of Health*

Psychology, *27*(3), 743–760.

Population Media Center. (2023, November 8). *Unmasking the patriarchy: Its origins, impact, and the path to equality*.

Postman, N. (2005). *Amusing ourselves to death: Public discourse in the age of show business*.

Rahman, F. (2017). *Islam & modernity: Transformation of an intellectual tradition*. University of Chicago Press.

Raja, R. (2014). Western women and Islam: Embracing and negotiating Muslim identity. *Policy Perspectives*, *11*(1).

Ray & Ritter. (2025, March 6). *Gender Gaps in Respect for Women Worldwide: Women's and men's views differ in 93 countries, including the U.S*. GALLUP.

Redazione. (2021, August 12). *BBC: Shamsia Hassani among the 100 women of 2021*. Finestresull'Arte.

Rodgers, R. F., Laveway, K., Campos, P., & de Carvalho, P. H. B. (2023). Body image as a global mental health concern. *Global Mental Health (Cambridge, England)*, *10*, e9.

Rodgers, R. F., Lowy, A. S., Halon, M. G., & Franko, D. L. (2020). Cross-cultural examination of body image concerns among women in Western and Middle Eastern countries. *Body Image, 34, 12-21*.

Rodgers, R. F., Wertheim, E. H., & Paxton, S. J. (2019). Body image

concerns and psychological distress among U.S. women: The role of media exposure. *Journal of Women's Health, 28(6), 786–793*.

Rose, K. (2025, June 4). *How Big is the Porn Industry?* Covenant Eyes.

Ruslandi, R. (2022). Maqashid sharia concerning sexual violence against wife in law number 23 year 2004. *AL-ASHLAH : Jurnal Hukum Keluarga Dan Hukum Islam*, *1*(2), 74–88.

Saad, L. (2024). US women have become more liberal; men mostly stable. *GALLUP, February*.

Sabour Esmaeili, N., & Schoebi, D. (2017). Research on correlates of marital quality and stability in Muslim countries: A review. *Journal of Family Theory & Review*, *9*(1), 69–92.

Saeed, A. (2006). *Islamic Thought: An Introduction*. Routledge.

Saini, A. (2023). *The patriarchs: the origins of inequality*.

Saiphoo, A. N., & Vahedi, Z. (2019). A meta-analytic review of the relationship between social media use and body image disturbance. *Computers in Human Behavior*, *101*, 259–275.

Salihović-Gušić, A. (2023). *The hijab ban and human rights of Muslim women in Europe*.

Samie, S. F. (2015). Hetero-sexy self/body work and basketball: The invisible sporting women of British Pakistani Muslim heritage.

Sport and South Asian Diasporas.

Saxena, P. (2014). Muslim women in Higher Education in India and Pakistan: A comparative study. *Islam and Muslim Societies: A Social Science Journal*, *7*(1), 35–53.

Shah, S. (2018). "We are equals"; datum or delusion: perceptions of Muslim women academics in three Malaysian universities. *British Journal of Sociology of Education*, *39*(3), 299–315.

Sheikh, M. (2024). *The commodification of the female body: A legal analysis of sex and ethics*. Moritz College of Law.

Sherman, C. (2025). *The second coming: Sex and the next generation's fight over its future*. WIRED Podcast & Commentary.

SimilarWeb. (2024). *Top Websites Ranking for Adult Category*. SimilarWeb.

SIPRI-Stockholm International Peace Research Institute. (2025). *SIPRI Yearbook 2025: Armaments, disarmament and international security*. Oxford University Press.

Siraj, A. (2011). Meanings of Modesty and the Hijab Amongst Muslim Women in Glasgow, Scotland. *Place and Culture(6):716-731*.

Smith-Hefner, N. (2007). Javanese women and the veil in post-soeharto Indonesia. *The Journal of Asian Studies*, *66*, 389–420.

Smith, M. (1984). *Rābiʿa the mystic & her fellow-saints in Islām : being the life and teachings of Rābiʿa al-ʿAdawiyya Al-Qaysiyya of Basra : together with the place of the women saints in Islām: Being the Life and Teachings of Rabi'a al-Adawiyya Al-Qaysiyya of Basra together with some account of the place of the Women Saints in Islam*. Cambridge University Press.

Soken-Huberty, E. (2025). *Reproductive justice 101: Definitions, examples, learning opportunities*. Human Rights Careers.

Statista. (2023). *Digital advertising - Worldwide*. Statista.

Stibbard-Hawkes, D. N. E. (2019). The origins of patriarchy: An evolutionary perspective. *Evolutionary Anthropology, 28(3), 121–133*.

The Associated Press. (2025, July 24). *The U.S. fertility rate reached a new low in 2024, CDC data shows*. NBC News.

The Guardian. (2025). *Sea level rise will cause "catastrophic inland migration", scientists warn*. The Guardian.

Tiggemann, M., & Slater, A. (2015). The role of self-objectification in the mental health of early adolescent girls: Predictors and consequences. *Journal of Pediatric Psychology*, *40*(7), 704–711.

Torkamani, H.-A. (2019). *Family Instability in the West: The Center of Stability*. Al-Islam.org.

Trinkenreich, B. (2021). Please don’t go -- A comprehensive approach to increase women's participation in Open Source Software. In *arXiv [cs.SE]*. arXiv. http://arxiv.org/abs/2103.08763

Twenge, J., & Martin, G. N. (2020). Gender differences in associations between digital media use and psychological well-being: Evidence from three large datasets. *Journal Des Adolescens*, *79*, 91–102.

Twenge, J. M., Sherman, R. A., & Wells, B. E. (2023). Declines in sexual activity among American young adults. *Archives of Sexual Behavior, 52(1), 45–60*.

UNESCO. (2023). *Key data on girls and women’s right to education*. UNESCO.

UNESCO. (2025). *Higher education trends*. UNESCO.

United Nations Women. (2024). *The impact of consumerism on women in developing countries*. UN Women.

UN Women. (2022). *Empowering women in political participation: Media training programs in Palestine*. UN Women.

UN Women. (2023). *Women in politics: 2023 map*. UN Women.

UN Women. (2024). Artificial intelligence and gender equality. *May.*

Veldhuis, J., Alleva, J. M., Bij de Vaate, A. J. D. (nadia), Keijer, M., & Konijn, E. A. (n.d.). Me, my selfie, and I: The relations between

selfie behaviors, body image, self-objectification, and self-esteem in young women. *Psychology of Popular Media*, *9*(1), 3–13.

Vogel, E. A., Rose, J. P., Roberts, L. R., & Eckles, K. (2014). Social comparison, social media, and self-esteem. *Psychology of Popular Media Culture*, *3*(4), 206–222.

Vogels & McClain. (2023, February 2). *Key findings about online dating in the U.S*. Pew Research Center.

Watts, J. (2025, May 28). *Global temperatures could break heat record in next five years*. The Guardian.

WHV. (2024, June 17). *Real bodies: understanding and celebrating labia diversity*. Women's Health Victoria. Melbourne.

Willoughby, B. J., Dover, C. R., Carroll, J. S., & Saxey, M. T. (2023). Pornography diversity: A latent class analysis of pornography users in committed relationships. *Computers in Human Behavior*, *149*(107961), 107961.

Wolf, N. (2013). *The beauty myth: How images of beauty are used against women*.

World bank. (2020). *World development report 2020: Trading for development in the age of global value chains*. World Bank Publications.

World Bank. (2025). *Women in higher education*. World Bank.

Yee, J. (2017). *Feminism for sale: Commodity feminism and the branding of women's liberation. In J. A. Smith & M. L. Johnson (Eds.), Feminist media studies (pp. 45–62)*. Routledge.

Yee, S. W. (2018). *The Female Body as a Commodity*.

Zadeh, M. R. (2023). *The status of women's rights in the Middle East*. Stimson Center.

كتشفْ في هذا البحثِ الرائعِ أُنموذجًا ثوريًّا لنهضةِ المرأةِ، يجمعُ بينَ قيمِ الحياءِ والعفافِ والاحتشامِ مع التعليمِ و الإعداد والاحترامِ، ليُمَكِّنَها من بناءِ أسرةٍ صالحةٍ وحضارةٍ إسلاميةٍ حديثةٍ، وأمةٍ نبويةٍ شاهدةٍ. يقدمُ البحثُ نقدًا حادًّا لـ"حريةِ المرأةِ" الغربيةِ، التي تفصلُ الحريةَ عن الأخلاقِ وتروجُ لتحررٍ جنسيٍّ يجردُ المرأةَ من كرامتها، ويحولها إلى سلعةٍ في سوقِ الرأسماليةِ الاستغلاليةِ. انغمسْ في هذه الرؤيةِ الجديدةِ التي تعيدُ تعريفَ دورِ المرأةِ كقوةٍ مبدعةٍ ومستقبليةٍ، واحصلْ على أدواتٍ لبناءِ مجتمعٍ أكثرَ عدلًا وكرامةً!

تَعَمَّقْ في هذا الدراسةِ الملهمةِ التي تقدمُ خريطة طريقٍ لنهضةِ المرأةِ الحقيقيةِ، ترتكزُ على أساسِ الحياءِ والعفافِ والاحتشامِ، مع دمجِ التعليمِ و الإعداد والاحترامِ، لتمكنها من صناعةِ أسرةٍ متماسكةٍ وحضارةٍ إسلاميةٍ معاصرةٍ، وأمةٍ نبويةٍ شاهدةٍ. يفضحُ البحثُ أسطورةَ "حريةِ المرأةِ" الغربيةِ، التي تفصلُ الحرية عن الأخلاقِ وتشجعُ على تحررٍ جنسيٍّ يسلبُ المرأةَ كرامتها، ويحولها إلى أداةٍ للشهواتِ وسلعةٍ في أسواقِ الرأسماليةِ التي تستغلُّ الإنسانَ وتغربهُ. انطلقْ معنا في رحلةٍ لإعادةِ صياغةِ دورِ المرأةِ كقوةٍ خلاقةٍ ومستقبليةٍ، واكتسبْ أدواتٍ لبناءِ عالمٍ أكثرَ عدلًا وتوازنًا!